الأب إميل إده

الفينيقيّون
واكتشافُ أميركا

دار النهار للنشر

جميع الحقوق محفوظة
دار النهار للنشر
بيروت ١٦٩٩
١٩٩٦

المحتويات

مقدمة	١١
الفصل الأول — معطيات التاريخ والتقليد	١٤
١. أطلنتدا وأميركا	١٤
٢. بين التاريخ والاسطورة	١٦
٣. خبر هام للمؤرخ ديودورس الصيقلي	١٦
٤. بين الخيال والواقع	١٨
الفصل الثاني — معطيات علم اللغات وموقع اوفير	٢٠
١. اللغة الفينيقية في هايتي	٢٠
٢. اللغة الفينيقية في البرازيل	٢٢
٣. موقع اوفير	٢٤
٤. ملاحظات اساسية	٢٥
الفصل الثالث — مدافن وخزفيات	٢٨
١. فخاريات ميراكوريا وجزيرة ماراجو	٢٨
٢. أصالة هذه الآثار وقيمتها التاريخية	٣٠

الفصل الرابع — تماثيل وهياكل وأنصاب ٣٣

١. عرض وتحليل للآثار المكتشفة ٣٣
٢. بين الرموز والحقيقة ٣٦

الفصل الخامس — حوار الصخور مع الماضي ٣٩

٠١ في أنحاء شتى من القارة الاميركية ٣٩

– بعض الكتابات ٣٩
– صخرة ديكتون ٤٠
– أصالة هذه اللوحات الاثرية ٤١

٠٢ في مجاهل الامازون ٤٢

– لوحات ايتاكواتيارا ٤٣
– كتابات أيبو ٤٤
– كتابة واتوما ٤٧
– مغارة لاجس ٤٨
– صخور مناوس واوروبو ٤٨
– أصل هذه اللوحات وقيمتها التاريخية ٥١

٠٣ صخرة غافيا ٥٤

– لمحة تاريخية ٥٤
– رأي برنردو راموس ٥٧
– رأي فان برندن ٥٩
– أصالة كتابة غافيا ومحتواها التاريخي ٦٢

٠٤ صخرة باراييبا ٦٥

١. لمحة تاريخية ٦٥
٢. ترجمة لاديسلاو نيتو ٦٦
٣. رأي الدكتور غوردن ٦٧
٤. مقال الدكتور فان دين برندن ٧٢
٥. ملاحظات أخيرة ٩٠

الفصل السادس — أعمال الفينيقيين في البرازيل ٩٢

١. مستعمرات في آسيا واوروبا وافريقيا ٩٢
٢. الاكتشاف الأول ٩٣
٣. قبائل التوبى وعلاقتها بالفينيقيين ٩٤
٤. مناجم الذهب والحجارة الكريمة ٩٧
٥. بعثات تجارية مشتركة ١٠٠
٦. الاستعانة بمهندسين مصريين ١٠١
٧. بين الحقيقة والخيال ١٠٣

الفصل السابع — علاقة قرطاجة بالسفر إلى أميركا ١٠٦

١. لمحة تاريخية ١٠٦
٢. ملاحظات حول آراء شونهاغن ١٠٨

الفصل الثامن — بين الاسكندر وصور ١١١

١. موقف الاسكندر من صور ١١١
٢. اعتبارات أخيرة ١١٣

خاتمة ١١٦

مقـــدمة

الفينيقيون ، أسياد البحار والتجارة في الشرق طوال قرون عدة ، الذين لقبّهم الأغريق بالقوم الحمر لأنّ أشعّة الشمس لوّحت بشراتهم ، عاشوا على حب المخاطرة والمغامرة ، فلم يردعهم عن مسعاهم لا الخوف من البحر ولا من الطبيعة وتقلّباتها ولا من الأعداء والحسّاد . اتّخذوا من الملاحة سبيلاً للتجارة وتأسيس المستعمرات ونشر المعرفة والحضارة . جابهوا البحار الواسعة المتمرّدة بسفنهم العاديّة لا تهديهم ، في أسفارهم الطويلة ، بوصلة ، بل نجوم تتلألأ في الفضاء ، أتقنوا فن مراقبتها وعلى هديها ساروا .

كانت عبادة الشمس وفكرة الخصب محور اعتقاداتهم وعباداتهم وطقوسهم . ولذلك ، كما يقول جان مازيل [١] : « البحث عن الشمس ، والاعتقاد ان ملكها كان ما وراء المغيب أفاضا على الغرب جاذبية أقوى من المغامرة البحرية نفسها . الروحانية الشمسية كانت خميرة مسيرهم نحو الغرب » .

شعب متديّن ومحب للنظام . وجّه ابناؤه حريتهم وعملهم للخير العام قبل المنفعة الخاصة . جهاد ألف سنة ، في البحار ، عوّدهم على

١ — Jean Mazel : Avec les Phéniciens à la poursuite du soleil sur la route de l'or et de l'étain. Paris, 1968, p. 36.

لكل شيء . البحّار ، من طبعه بعد النظر ، والتاجر الحقيقي ، كتوم ويحفظ الأسرار .

عُرفوا بصبرهم وديبلوماسيتهم الحكيمة ، اللبقة ، وسهولة انسجامهم مع كل العقليّات ، والشعوب ، والمدنيات . فرغم قلّة عددهم وضيق أرضهم احتلّوا مركزاً مرموقاً بين الشعوب القديمة وفتحوا أمامها آفاقاً وآمالاً .

كل هذه العوامل — بالإضافة إلى طموحهم اللامحدود ، وعزيمتهم القوية الصامدة ، ومعرفتهم لتقاليد الأقدمين عن وجود أرض واسعة ما وراء المحيط الاطلسي — كانت لهم دوافع خيّرة ، لكي ، من شاطيء بحرنا المتوسطي ، يُطلقوا العنان لاشرعتهم البيضاء ، بوجه العواصف والأمواج ، ويوسّعوا حدود العالم بما اكتشفوا من أرض جديدة . فلم يكتفوا بإنشاء مستعمرات ومحطّات تجارية في اوروبا وافريقيا ، بل وصلوا إلى القارة الاميركية قبل كريستوف كولمبس بحوالي الفين وخمس مئة سنة .

هذا ما يؤكّده بعض المؤرّخين وتثبته آثار وكتابات .

نحتاج ، بلا شك ، لاثبات هذه النظرية ، إلى معطيات التاريخ والتقليد وعلم اللغات (الفيلولوجيا) الذي يُثبت تأثير اللغة الفينيقية على لغات ولهجات سكان اميركا الاصليين .

وهناك مراجع أخرى كفيلة بإفاضة إشعاعات من نور على الحلقات المفقودة من تاريخ الفينيقيين وطرق أسفارهم الضائعة وسط البحار . منها بقايا أثرية (أركيولوجية) : مدافن ، وخزفيات ، وهياكل مهدومة ، وخاصة كتابات منقوشة على صخور ، حافظت على معالمها رغم بعد الزمن ، وقساوة الطبيعة ، وجهالة يد الانسان اللاواعية ، التي أبادت كثيراً من هذه الآثار .

من كل ما تبقّى من هذه المعطيات حاولنا أن نجمع ما تيسّر لنا مستندين خاصة إلى كتاب قيّم كتب باللغة البرتغالية ، في مجلّدين كبيرين ونشر أحدهما سنة ١٩٣٠ والثاني سنة ١٩٣٩ ، في الريو دي

جانيرو . وهو : « كتابات وتقاليد أميركا ما قبل التاريخ وخاصة البرازيل » (Inscripções da América Prehistórica, especialmente do Brasil) للمؤرخ وعالم الآثار الشهير برنردو دي ازيفادا دا سيلفا راموس (Bernardo de Azeveda da Silva Ramos).

وكما يظهر من عنوان الكتاب المذكور ، لم تكن غاية المؤلّف تتبّع الفينيقيين وآثارهم ، في مجاهل الامازون ، بل دراسة تاريخ وما قبل تاريخ القارة الاميركية وخاصة البرازيل . لكنّه التزم ، بعدما نقّب اربعين عاماً ، أن يخضع للأمر الواقع ويؤكّد أن الكثير من الآثار القديمة والكتابات المحفورة على الصخور التي وصلت اليها يده أو شاهد لها رسوماً « وصوراً » هي فينيقية ، لا غش فيها .

ومن البديهي اننا لن نكتفي بسرد الآراء والشروحات التي قدّمها هذا العالم الشهير لأن الدراسات الفينيقية تقدّمت أشواطاً بعيدة إلى الأمام ، في السنوات الأخيرة ، أي بعد أن صدر كتابه .

لا بدّ لنا اذن ، من العودة ، في بحثنا إلى مراجع أخرى هامّة وإلى مؤرخين قديمين وحديثين ، وعلماء آثار ولغويين اختصاصيين باللغة الفينيقية ، من أمثال الدكتور غوردن الاميركي ، وفان دين برندن البلجيكي ، ولودوفيكو شونهاغن النمساوي . وسنقابل بين آراء ونظريات مختلفة حتّى نصل أخيراً إلى النتيجة العلميّة المرجوّة .

معطيات التاريخ والتقليد

١) أطلنتدا واميركا

إن ما يقدّمه لنا التاريخ والتقليد الموروث عن أسفار الفينيقيين إلى الغرب وعن اعتقاد الشعوب القديمة بوجود أرض يابسة ، ما وراء المحيط الأطلسي ، هو قليل جداً . لكنه ، مهما كان قليلاً ، يبعث بعض النور على دروب الجهاد والمجد .

ألمح بعض العلماء والمؤرّخين الاقدمين عن وجود القارّة الاميركية . وتكلّموا كثيراً عن جزيرة أطلنتدا التي غرقت نهائياً في المحيط الأطلسي .

كتب أفلاطون « حوار طيماوس » ، سنة ٣٨٠ ق . م . وذكر في ما ذكر ، أن جدّه كريتياس حظي بمخطوط للمشترع الكبير صولون ، دُوّنت فيه أخبار هامة عن تاريخ وجغرافية بلدان عدة ، من بينها اطلنتدا . فيقول كريتياس : إن العلماء المصريين أوضحوا له موقع وتاريخ اطلنتدا التي غرقت نهائياً في المحيط الاطلسي بعد أن قوّض أركانها زلزال قوي .

ويتكلّم أيضاً عن وجود جزر « الانتيل » ((Antilles)) في الاطلسي وأراض واسعة الأرجاء بعيداً جداً ما وراءه . وهذه الأرض

الثابتة هي قارة حقيقية .

ومنذ تلك الأيام سمّي البحر الكبير الممتد حول اوروبا وافريقيا بالمحيط الاطلسي ، كما يقول الفيكونت اونفروا دي تورون .

(Le Vicomte H. Onffroy de Thoron : « Amérique Equatoriale. Son Histoire pittoresque et politique ». Paris, 1866, p. XI.)

ونشر أرسطو كتابه « جغرافيا » نحو سنة ٣٥٠ ق . م . فيه يتّفق مع افلاطون على ما أورده هذا الأخير عن اطلنتدا . ثم يقول : إن الفينيقيين والقرطاجيين أسّسوا مستعمرات عدة في بلاد الغرب الكبيرة .

وقال الشاعر والمؤرّخ اليوناني ثيوبومپس : ان سيلانوس (Sileno) أخبر ميدس (Mides) ، ملك فريجيا أنّ ما وراء آسيا واوروبا وليبيا (اي افريقيا) اللواتي هنّ جزر حقاً ، وبعيداً جداً ، يوجد قارة واحدة واسعة الأرجاء يسكنها الموروبيون (Méropiens) وحكمتها لمدة من الزمن موروبا (Mérope) ابنة أطلس (Atlas) ، ملك ليبيا : وكانت معاصرة لهرقل ، أي قبل سقوط طروادة بحوالي خمسين عاماً .

ويذكر تيوبومپس (Théopompe) أيضاً أن القرطاجيين ، أسياد البحر ، حاصروا ، طوال ثلاثة أجيال ، مضيق غادس (أي جبل طارق) لكي يمنعوا اليونانيين والصوريين أن يصلوا إلى المحيط الأطلسي وأرض الغرب . وكان مجلس شيوخ قرطاجة ، حسب قول أرسطو ، قد سنّ شريعة الاعدام ضد كل من يحاول أن يبحر إلى البلاد التي اكتشفوها ما وراء الأطلسي .

وفيستو أفينو (R. Festo Avieno) الذي ترجم في الجيل الرابع بعض الكتب اليونانية ، يؤكد أن ما وراء الاوقيانوس الكبير يوجد أرض يابسة وشواطيء عالم آخر .

وكذلك أيضاً ، يعتقد سينكا بوجود أرض في الغرب ما وراء اسبانيا ويمكن الوصول اليها بعد سفر يدوم أياماً قليلة ، ان ساعد الهواء .

ويُضيف شيشرون بعض الايضاحات ذاكراً وجود مساحات

واسعة من الأرض ما وراء الاطلسي تقسم إلى قسمين ، الواحد « اوسترال » (جنوبي) والثاني « بوريال » (شمالي) ، اي اميركا الجنوبية وأميركا الشمالية .

٢) بين التاريخ والاسطورة

أما نحن فنعتقد أن هذه الأخبار والآراء هي مزيج من التاريخ والأساطير معاً . وليس من السهل تمييز الحقيقة من الخرافة .

وإن دلّت على شيء فعلى سماع الشعوب القديمة ، من يونانيين ورومانيين ومصريين وغيرهم بوجود أرض واسعة الأرجاء ما وراء الاطلسي وبوجود جزيرة أطلنتدا وانطيليا وغيرها من الجزر في المحيط الكبير ، بعيداً عن جبل طارق .

أما إلى أي حد كان تصديقهم لهذه الأخبار وانتشارها بين الشعوب ومحاولاتهم لبلوغ تلك الجزر وما وراءها ، فما ذكره هؤلاء المؤرخون لا يكفي لإعطاء فكرة واضحة .

كما ان الفينيقيين ، بلا شك ، لم يجهلوا ما عرفته الشعوب القديمة المذكورة عن أطلنتدا وجزر المحيط الأطلسي ، بل كانوا أوسع اطلاعاً ومعرفة بسبب تجارتهم وأسفارهم التي فتحت أمامهم آفاقاً بعيدة .

فنحن نتساءل : أليس معقولاً أن الفينيقيين – الذين يعرفون كل البحار ، حسب قول الكتاب المقدس – يكونون قد حاولوا الولوج إلى أبعاد المحيط الأطلسي ، على سبيل الفضولية أو رغبة في التجارة ، أو أنه خلال إحدى بعثاتهم التجارية أو الاستكشافية دفعتهم عاصفة قوية هوجاء إلى الساحل الغربي من المحيط المذكور !

إنه لشيء ممكن وسهل التصديق ، وإن وجد بين الامكانية والتحقيق فرق كبير .

٣) خبر هام للمؤرخ ديودورس الصيقلي

ان المؤرّخ اليوناني ديودورس الصيقلي أجاب على هذه الاسئلة

وعلى غيرها أيضاً بخبر ذكره في مؤلّفه الشهير تاريخ العالم (الكتاب الخامس : ١٩ – ٢٠) . تكلّم فيه عن اكتشاف الفينيقيين لاحدى الجزر البعيدة في المحيط الاطلسي واصفاً اياها هكذا :

« إنها تبعد عن ليبيا (افريقيا) مسافة أيام عدة ، سفراً بحرياً . وتقع من جهة الغرب . أرضها خصبة وجبلية ، سهولها قليلة ، وهي جميلة جداً . إنهار صالحة للملاحة تروي هذه الجزيرة. ويشاهد فيها جنائن كثيرة مزدانة بأنواع مختلفة من الأشجار، وبساتين تسقسق في وسطها ينابيع مياه عذبة . ويوجد هناك بيوت ريفية فخمة البنيان ...

المنطقة الجبلية منها مغطّاة بالغابات الكثيفة والأشجار المثمرة من كل نوع . وتجمّل الاقامة فيها وديان وينابيع عديدة . وبكلمة واحدة ، تروي الجزيرة بكاملها مياه عذبة تساعد ، ليس فقط على راحة السكّان ، لكن أيضاً على صحتهم وقوّتهم. وللصيد حيوانات كثيرة ومتنوعّة ينتج منها غذاء لذيذ وفاخر .

أخيراً ، المناخ معتدل جداً بنوع أن الاثمار ومحصولات أخرى تنمو بكثرة طوال القسم الاكبر من السنة . وباختصار ، هذه الجزيرة جميلة جداً . إنها أشبه بمقر سعيد لبعض الآلهة منها بسكنى البشر » (الكتاب الخامس : ١٩) .

« قديماً كانت الجزيرة مجهولة لسبب بعدها عن القارّة . أما الآن فاكتشفت على النحو الآتي : منذ القدم عمل الفينيقيون في تجارة موسّعة . أسسوا عدداً كبيراً من المستعمرات في ليبيا والبلدان الغربية من اوروبا .

كانت مشاريعهم تنجح جداً . ولأنهم اكتسبوا أموالاً طائلة حاولوا الملاحة ما وراء عواميد هرقل (جبل طارق) في البحر المسمى اوقيانوس . أسّسوا أولاً في تلك الناحية ، قرب عواميد هرقل ، في شبه جزيرة من اوروبا ، مدينة سمّوها غاديرا ...

أقلع الفينيقيون ، كما ذكرنا ، ليستكشفوا الساحل الواقع خارج عواميد هرقل . وبينما كانوا على مقربة من شاطيء ليبيا دفعتهم رياح

قوية بعيداً جداً في المحيط . ضربتهم العاصفة طوال أيام كثيرة . فرسوا أخيراً على الجزيرة المذكورة . ولما شاهدوا غنى الأرض أذاعوا اكتشافهم على الناس . لذلك أراد الصوريون ، أسياد البحر ، أن يُنشئوا فيها مستعمرة . لكنّ القرطاجيين حالوا دون تنفيذ ذلك . من جهة ، خوفاً أن يرحل اليها ، بسبب جمالها ، عدد كبير من مواطنيهم ، ومن جهة أخرى اعتبروها ملجأ يمكنهم أن يزحفوا اليه اذا دار دولاب السعد يوماً وحلّت بقرطاجة كارثة . فنظراً لسيادتهم البحرية كانوا يأملون بإمكانية انتقالهم ، مع عيالهم جميعاً ، إلى تلك الجزيرة المجهولة عند قاهريهم » . (الكتاب الخامس : ٢٠ »

٤) بين الخيال والواقع

لسنا نعتقد أن ما ذكره ديودورس هو مجرد خيال مجنّح أو اسطورة للتسلية ، بل حقيقة واقعية .

لكن الصعوبة هي في معرفة الجزيرة التي عنها تكلّم . فهل أشار إلى اطلنتدا التي ذكرها افلاطون وغيره أو إلى جزر كاناريس أو البرازيل .

ليس من السهل معرفة ذلك . لكن هـذه الأوصاف التي أعطاها ديودورس لا تنطبق بكاملها على احدى الجزر المعروفة في المحيط الأطلسي لأن هذه الجزر صغيرة وعاديّة ولا تقطعها أنهـار تصلح للملاحة .

ومن جميع النواحي تطابق القارّة الاميركية وخاصة البرازيل : الأنهار والمناخ والغابات وخصب الأرض وجمال المناظر والحيوانات والأثمار والبيوت الفخمة البنيان .

من هذه الأخيرة اكتشفت آثارعدة في أماكن مختلفة من القارة الاميركية وخاصة في البرازيل والمكسيك . وليس بالامكان أن ينسب أصلها إلى سكان اميركا الأصليين نظراً لتأخرهم الحضاري .

أما اطلنتدا فلسنا نعرف كيف كانت — إن صح خبر وجودها —

حتى نتأكد اذا كان ما ذكره الصيقلي (ابن سيسيليا) يطابق عليها أم لا .

رب معترض يقول : إن ديودورس تكلّم عن جزيرة اكتشفها الفينيقيّون . لكن البرازيل التي يفترض البعض وصولهم اليها أولاً ليست جزيرة .

يجب ألاّ ننسى أن اسم جزيرة اطلقه البعض على أي مقاطعة من الأرض . لذلك نرى أن اليانوس يسمّي اسيا واوروبا وليبيا جزراً بالمعنى الصحيح . كما أن الذي يصل بحراً إلى بلاد مجهولة لا يقدر أن يميّز الجزيرة من أرض تتصل بالبحر من جهة واحدة أو جهتين .

خلاصة الكلام أن ما ذُكر حتى الآن من معطيات التاريخ والتقليد في هذا المجال هو ذو أهمية كبرى . لكنه لا يكفي، بمعزل عن معطيات أخرى كالكتابات الفينيقية والنقوش على الصخور ، للبرهان عن اكتشاف الفينيقيين للقارة الاميركية . وخاصة لأنه ليس لنا أدلّة كافية واضحة للبرهان عن صدق هذا الخبر المثير الذي أورده ديودورس وعن نسبته إلى اميركا . فلماذا لم يأت أيضاً على لسان غيره من المؤرخين !

الفصل الثاني

معطيات علم اللغة وموقع اوفير

١) اللغة الفينيقية في هايتي

يقول اونفروا دي تورون ، في كتابه : « الفينيقيون في جزيرة هايتي وعلى القارة الاميركية » :

(« Les Phéniciens à l'Ile d'Haiti et sur le Continent Américain. » Louvain 1887-89)

إن سكان هايتي الاصليين أخبروا المرسلين الاسبان الذين أمّوا العالم الجديد ، بعد اكتشاف كريستوف كولمبس ، أنه منذ قرون عدّة أتى بحّارة من جهة البحر الشرقية واحتلّوا الجزيرة واستوطنوها مدة طويلة .

ثم غدرهم مرة جيش الكاراييب فانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً وأبادهم لكنه أبقى نساءهم أحياء .

فالاوروبيون الذين سمعوا هذه الرواية افترضوا أن البحّارة الذين دخلوا الجزيرة من الناحية الشرقية هم فينيقيون من صيدا وصور أو قرطاجة . لكنّهم لم يبحثوا وينقّبوا كفاية للتثبّت من حقيقة هذا الخبر ، بسبب انشغالهم بأشياء كثيرة .

أخذ اونفروا دي تورون نقطة انطلاق لأبحاثه من هذا التقليد

الموروث وسعى للتعمّق في تقاليد شعوب اميركا الاصليين ، من كاراييب وتوبي وغيرهم . وركّز اهتمامه على نقطة معيّنة : ابقاء النساء الآتيات من البحر على قيد الحياة ، بعد تلك الغارة التي شنّها الكاراييب على الرجال الغرباء . وافترض أنه في حال صدق هذا الخبر لا بدّ أن تؤثّر لغتهنّ على لغة السكان الأصليين .

ثم يقول اونفروا : إن نجاحي كان كاملاً لأن لغة التينو (Taino) أي اللغة الشريفة ، المقدّسة في جزيرة هايتي هي مشتقة من اللغة الفينيقية ، بل هي لهجة فينيقية . وحتّى كلمة « تنينا » (Tanina) نفسها هي مؤنث تنين الفينيقية ، أي الحية المفترسة .

استنتج ذلك بعد أن قام بدراسة لغويّة (Philologie) لمئة كلمة من لغة « تينو » الهيتية المذكورة وبيّن ، حسب اعتقاده ، أن هذه المئة كلمة هي من أصل فينيقي . وهي ربع الكلمات المعروفة في لغة الكاراييب هذه . لأن المعجم الذي وضعه (Raymond Breton) ، وهو أكبر معجم للغة « التينو » حتى أيام اونفروا دي تورون ، وربما حتى أيامنا ، لا يحتوي على أكثر من أربع مئة كلمة .

كما أنه شرح التقليد المذكور سابقاً على النحو الآتي : إن فينيقيين ، ثم قرطاجيين استوطنوا هذه الجزيرة واستولوا عليها مدة طويلة إلى أن ضعفوا جداً وقل عددهم لاجل بعثاتهم إلى سائر أنحاء القارة الاميركية . حينئذ غدرهم جيش الكاراييب كما ذُكر آنفاً .

وعن صيغة الجمع في لغة « التينو » يقول الكاتب المذكور إنها كصيغة الجمع عند الفينيقيين ، تنتهي أغلب الأحيان بالحرفين « و م » . ربما يوجد تأثير مباشر من لغة فينيقيا عليها .

ثم إن سكان جزيرة هايتي الأصليين كانوا يعبدون الشمس ، بإسم « شمين »، وجمعه شمنيوم ، أي التماثيل المنحوتة والرموز التي تمثّل الشمس . ويعتقد الفيكونت أونفروا دي تورون أنهم أخذوا عبادتهم هذه عن الفينيقيين . شيمون هو اله الشمس الذي يسمّونه أحياناً بعل شمون . وجمعه شمونيم .

٢) اللغة الفينيقية في البرازيل

في فصل آخر من كتابه المذكور يتكلّم اونفروا عن أسماء القبائل والأماكن الجغرافية في غوايانيا البرازيلية وخاصة أسماء الأنهر والتلال التي ، حسب قوله، هي أسماء فينيقية وتبرهن ان الفينيقيين سافروا إلى غوايانيا البرازيلية التي فيها بارو ، بارويم أو بارفيم التي ذكرها الكتاب المقدّس .

وفي البرازيل أيضاً ، في مقاطعة ريّو برنكو ، يوجد قرية اسمها « كنعاني » (Canhani) أي الاسم الذي اختاره الفينيقيّون لأنفسهم لأنهم عُرفوا أولاً بالكنعانيين .

وهذا يذكّرنا بكلام القديس اغوسطينوس الذي أخبر أنه في أيامه ، عندما كانوا يسألون أحد فلاّحي افريقيا ، في أي مقاطعة تابعة لقرطاجة ، عن أصله ، كان يجيب باللغة الفينيقية : كنعاني .

أما إذا صيغت هذه الكلمة « كنعاني » حسب قواعد لغة « تينو » ، فهي تدل على التصغير ، ويكون معناها : كنعان الصغيرة .

وهناك عالم آخر نمساوي تكلّم عن تأثير اللغة الفينيقية على لغة شعب البرازيل الأصلي وهو لودوفيكو شونهاغن ، استاذ التاريخ واللغة في احدى جامعات النمسا . ودعي لزيارة البرازيل ودرس آثارها علّه يجد حلاً لما غمض من تاريخها .

لبّى الطلب عام ١٩١١ فسافر إلى هناك وانكبّ على البحث والتنقيب خاصة في ولايتي مارانيون وبياوي . فشاهد في أنحاء شتّى من البرازيل آثاراً وكتابات قال انها فينيقية .

كتب مقالات عدّة في بعض المجلات ، منها مجلة الشرق الصادرة باللغة العربية في مدينة سان باولو، والقى محاضرات عن وصول الفينيقيين إلى البرازيل وأعمالهم ثم وضع كتاباً عنوانه : « تاريخ البرازيل القديم » (Antiga Historia do Brasil) ضمّنه دراسات وافية عن الآثار الفينيقية التي وجدها هناك .

قد تعذّر علينا العثور على هذا الكتاب النفيس ، لكننا اطّلعنا على بعض مقالات كتبها المؤلف في مجلة الشرق عام ١٩٢٨ و ١٩٢٩ .

قال هذا العالم، في ما قال: إن إسم كاريوكا الذي أطلق على خليج الريو دي جانيرو وعلى كل فرد من سكان الريو وضواحيها حتى صار وصفاً ملازماً لهم هو من أصل فينيقي، مؤلّف من اسمي علم: « كار وبيوكا». وزعم أنهما اسم ملك وملكة فينيقيين لُقب الخليج باسمهما تيمّناً ولتخليد الذكر . وحُذف حرف الباء مع الوقت ، رغبة بسهولة الاستعمال .

وفي رسالة كتبها العالم النمساوي إلى موسى كريّم صاحب مجلة الشرق — ونشرت في المجلة نفسها، في ١٥ ايلول سنة ١٩٢٨ — يقول: « ولا أريد أن أختم كتابي قبل أن أوضح لقرّائك معنى كلمة « كركامانو » التي يتكدّر منها السوريون ، نزلاء شمال البرازيل ويُطلقها البرازيليون على البائعين الدّوارين منهم .

إن فينيقية القديمة أي شواطيء لبنان كانت تعرف باسم كارو . وسورية كلها حتى نهر الفرات عُرفت باسم كارامانيا او كرمانيا . فاللفظ الاول كان يطلقه الكهنة فقط على تلك الديار . والاسمان الاخيران يطلقهما العامة . وقد طالعت لبعض المؤرخين الثقاة أنهم دعوا لبنان بالتعبير الأخير . وواضح أن التجار كانوا مقسومين إلى قسمين : كبار المتاجرين وأصحاب السفن الذين كانوا يستوردون ويصدّرون البضائع والحجارة الكريمة ، والتجار الصغار الذين كانوا يرافقونهم ويبيعون الحاجيّات من سكان المزارع والقرى . واسمهم كارامانوس . وظلّ هذا اللقب حتى يومنا هذا يعرف به كل بائع دوّار . وإنما حرّفوه قليلاً بحيث أصبح كاركامانو . ولذلك لا مبرّر لغضب السوريين الذين تقوم قيامتهم حينما يُشار اليهم بهذا التعريف ، في حين أنه لفظ طبيعي ويرجع إلى أجيال عديدة » .

ويقول العالم النمساوي أيضاً : توجد إلى الآن آثار مدينة في أعالي نهر بارناهيبا (برنايبا) اسمها فورتويا وهو تحريف لكلمتي «فور » و « ترويا » أي أهل طروادة التي كانت فينيقية قبل أن تصبح يونانية . أما ولاية مارانيون فأصلها الفينيقي مارا—يون ومعناها يونيا العظمى.

٣) موقع اوفير

شروح وتفسيرات عدة أعطيت حول أوفير . ولا يوجد اتّفاق بعد بين المؤرخين . أما مملكة أوفير فبقيت حتى الآن بنظر الكثيرين شيئاً خيالياً اسطورياً . فبينما ريكمن (G. Ryckmans) يلمّح ان كلمة اوفير ربما استُعملت لتشير بنوع عام إلى مناطق مختلفة ، على طول الشاطيء العربي أو الافريقي :

(Jaarbericht, No. 14, (1955-56), Ex. Oriente Lux, p. 78).

وفان دين برندن، العالم البلجيكي (Van den Branden) يظن أنها تدل، ربما، على الناحية الغربية من الشواطيء الافريقية، فإن اونفروادي تورون ولودوفيكو شونهاغن يؤكّدان أن اوفير وبرفيم وترشيش هي أماكن تقع داخل ولاية الامازون البرازيلية .

يعتقد اونفروا دي تورون — ويحبّذ رأيه برنردو راموس — انه في تلك الانحاء النائية من ولاية الامازون توجد حتى اليوم أمكنة عدّة حافظت على أسماء عبرانية وفينيقية . كما أن السلع التي نقلتها سفن الملك سليمان وحليفه الفينيقي حيرام ، من اوفير إلى اورشليم وصور وصيدا يوجد منها نماذج كثيرة في ولاية الامازون .

ثم ليست فينيقية ولا عبرانية أسماء تلك الواردات والسلع ، بل كما يذكر علماء اللغات ، هي من صميم لغة سكان الامازون الاصليين ، من لهجة « كيشوا او الانتيس » (Kichoua ou des Antis) . وتحكى هذه اللهجة حتى الآن (أي حتى أيام اونفرا دي تورون) في الحوض الأعلى لنهر الامازون .

نعلم من الكتاب المقدس أن حيرام أرسل لسليمان بحّارة اختصاصيين بشؤون السفن والملاحة واتفقا معاً على القيام ببعثات تجارية مشتركة .

ويعتقد اونفروا ان اسطول سليمان سافر من البحر الاحمر والتقى بالاسطول الفينيقي في المحيط الأطلسي . ثم تابعا السفر معاً إلى اوفير .

اما اسم سوليمونس (Solimões) الذي أعطي لاحد فروع نهر

الامازون ، فهو اسم الملك سليمان نفسه ، أطلقه على النهر الكبير أحد أفراد الاسطول تيمّناً بالملك العظيم :

(Voir : Les Phéniciens à l'Ile d'Haiti et sur le Continent Américain)

ولشونهاغن رأي مماثل . فهو يقول في احدى محاضراته : مات الملك داود سنة ٩٩٧ فخلفه ابنه سليمان ووقّع معاهدة مع الملك حيرام على أن يستثمرا معاً بلاد الأنهر الثلاثة: « فروين، وأفير، وأبيرا » ، وهي فروع لنهر الامازون البرازيلي . وإكراماً للملك سليمان أنشئت على شواطيء هذا النهر مستعمرات عبرانية . وظلت السفن الفينيقية — اليهودية تحمل المسافرين إلى هذه المستعمرات حتى سنة ٩٥٠ ، أي عندما توفيّ سليمان الملك .

٤) ملاحظات أساسية

إن الادلّة اللغويّة التي قدّمها اونفروا دي تورون ولودوفيكو شونهاغن إثباتاً لتأثير اللغة الفينيقية على لغة سكان اميركا الأصليين لا تكفي وحدها — حسب رأينا — لاظهار صدق تخميناتهما في هذا الموضوع .

كما إننا نشك بصحة أصل بعض الكلمات التي وردت في تآليفهما وقالا عنها انها فينيقية . فكلمة كاريوكا ، من الارجح أن تكون أتت من كلمة « كاريس » ، اسم بعض القبائل التي سكنت البرازيل قبل مجيء الاوروبيين اليها . ويُرجّح كذلك أن هذه القبائل أبحرت في سفن فينيقية من بعض جزر الكرايبب التي زالت من الوجود . سيأتي الكلام عنها .

ولسنا نثق حتى بوجود الملك « كار والملكة بيوكا » اللذين ، حسبما زعم شونهاغن ، اعطيا اسمهما « كاريوكا » — بعد التحريف — للريو دي جانيرو وسكانها .

لكننا نعتقد ان آراء العالمين المذكورين في هذا الموضوع لا تخلو من

نقاط ايجابية هامة يجب أن ينطلق منها البحّاثون اليوم، بعد أن يتعمّقوا باللغة الفينيقية ولغات سكان اميركا الاصليين، ويقوموا بدراسة علمية رصينة تساعد على اكتشاف الحلقات الضائعة من تاريخ الفينيقيين وتاريخ القارّة الاميركية معاً.

ولسنا نعطي تفسيرات اونفروا اللغوية وفيلولوجيته السلطة المطلقة، لأن علم اللغة ما كان يوماً ولن يكون في المستقبل، كما نعتقد، معصوماً من الخطأ في تفسير أصل الكلمات وتطوّرها.

كما إنه ليس بالامكان إنكار تأثير اللغة الفينيقية على لهجات هايتي وغيرها من بلدان اميركا، بطريقة اعتباطية، ذهاباً من هذا المبدأ الذي ربما يكون سلبياً ومخطئاً من أساسه، وهو: لم يكن بإمكان الفينيقيين أن يقطعوا بسفنهم المحيط الأطلسي كي يصلوا إلى البرازيل وإلى اميركا بكاملها.

وإن أخطأ دي تورون في تفسير وشرح أصل الكثير من الكلمات التي ذكرها دلالة على تأثير لغة الفينيقيين على لغة «التينو»، فهل أخطأ في المئة كلمة؟ هذا صعب جداً. على كل حال، لا بدّ من اختصاصي يدرس مجدداً ما قدّمه لنا الفيكونت المذكور فتأتي النتيجة أوضح وأكمل.

وليس بامكاننا الاستنتاج أن سكان هايتي الأصليين أخذوا عبادة الشمس عن الفينيقيين، لمجرّد تشابه اسم اله الشمس عندهم مع أحد آلهة صيدا. وليس هذا الأخير الاله الممثّل للشمس، كما زعم اونفروا دي تورون، بل اله شاب اشتهرت عبادته في صيدا.

عبادة الكواكب وجدت في بلدان عدة وشعوب مختلفة. والسبب أن الانسان، وخاصة الانسان البدائي، مفطور على عبادة القوى الطبيعية نظراً لقدرتها وعظمتها، وفي الدرجة الاولى عبادة الشمس لأنها تنير الأرض، ولولاها لزالت الحياة عن هذا الكوكب البارد. لذلك فالبراهين التي قدّمها اونفروا لا تكفي لاثبات رأيه. هذا من جهة المبدأ. لكننا لسنا نعتقد أن هذا التأثير مستحيل.

أما موقع اوفير وترشيش وبرفيم فليس بالامكان، حتى الان،

معرفته. آراء اونفروا دي تورون وريكمنس وغيرهما هي نظريات وتخمينات تستحق الاحترام والتقدير. لكنها لا ترتكز على براهين مقنعة كفاية. لم تعط بعد، عن هذا الموضوع، الكلمة الأخيرة.

ولا بدّ أخيراً من تصحيح ما ورد في محاضرة لشونهاغن عن تاريخ وفاة داود وسليمان. فإن الملك داود مات عام ٩٧٣ وليس عام ٩٩٧ وسليمان عام ٩٣٥ وليس ٩٥٠، كما ذكر شونهاغن:

الفصل الثالث

مدافن وخزفيات

كانت ولا تزال مدافن الشعوب وخزفياتهم وآنيتهم المنزلية إشارة ورمزاً لدياناتهم وعاداتهم وحضارتهم وتقاليدهم الموروثة المتأصّلة في أعماق كيانهم .

لذلك نرى الكثير ، من هذه الآثار القديمة ، في مكان الصدارة من المتاحف العالمية . وتحافظ عليها الدول كشيء ثمين جداً، فهي بعض التاريخ والأمجاد الغابرة .

نحن نحصر موضوعنا بالكلام عن بقايا المدافن والخزفيات التي وجدت في البرازيل ووصفها الكثيرون بأنها آثار شبيهة جداً بالآثار الفينيقية التي اكتشفت في جبيل وصيدا وصور وقرطاجة وغيرها .

١) فخاريات ميراكويرا وجزيرة ماراجو

في « ميراكويرا » (Miracŭera) التابعة لولاية الامازون،ما بين « أراواتو » (Arauató) « وأماتاري » (Amatary) عثُر ، صدفة ، على مدافن قديمة العهد بدون أن تقوم الدولة بأية حفريات .

كان ذلك في أواخر الجيل الماضي . في احدى السنوات فاض النهر وجرف معه قسماً لا يستهان به من تراب الأراضي المجاورة . وبعد نهاية

الفيضان وعودة المياه إلى حالتها الطبيعية ، شاهد الناس على وجه الأرض جراراً من آجر كثيرة العدد ، فيها بقايا أموات وقربها بعض الآنية المنزلية القديمة العهد . فتشاءم بعضهم من هذا المشهد الغريب ، وعن جهل تام لقيمة هذه الآثار التاريخية ، دفعوها إلى النهر لئلا يقع نظرهم عليها في ما بعد ، فيراود الحزن قلوبهم ، ولئلا يمسّها أولادهم فيتّسخوا .

ولحسن الحظ لم تفقد كلها . بقي قسم قليل، بالنسبة لما حملت معها المياه ، في جريانها ، من هذه البقايا الأثرية الثمينة ، تمكّن رئيس المتحف في الامازون ، الدكتور « بربوزا رودريكز » (Dr. Barbosa Rodriguez) أن يخلّصه من بين أيديهم ويقدّمه للمتحف .

وحسبما دُوّن في المجلد الثاني من « فيلّوزيا » (Vellosia) ، وهو الكتاب الرسمي لتلك المقاطعة ، تتألّف هذه الآثار :

— من مجموعة كبيرة من الجرار — المدافن ، تختلف في ما بينها حجماً وشكلاً ، باختلاف عمر الأشخاص المدفونين فيها وكبرهم . وذلك يُعرف من حجم العظام المحفوظة .

— ومن مجموعة أخرى من الطناجر والقدور وبعض الآنية المنزلية الضرورية لحفظ الطعام ، وبعض آلات العمل . وكلّها على مقربة من الجرار ، كأن الموتى بحاجة إلى مثل هذه الاشياء أو ان شعب ميراكويرا القديم يؤمن بحياة ما وراء القبر ، يؤمن بالبعث .

— ومن نواويس كنواويس الفينيقيين ، حفر على غطاء بعضها رأس إنسان في أذنه ثقب .

يقول البعض إن هذا الرأس يمثّل « تانيت » الهة الخصب عند القرطاجيين . أما الثقب الذي يتصل بالعالم الخارجي فمردّه إلى أن الموتى ، حسب اعتقاد الفينيقيين ، يسمعون . هذا ما ذكره اونكن (G. Oncken) في كتابه : « التاريخ العالمي (Histoire Universelle) .

أما المجموعات الخزفية فمتقنة الصنع جداً. رسمت عليها أونقشت صور ونقوش جميلة ، متنوعة الأشكال والألوان ، تدل على ذوق رفيع وحضارة عريقة .

يذكر « برنردو راموس » (Bernardo Ramos) ، في المجلد الأول من كتابه المذكور سابقاً ، ان بعض الذين شاهدوا هذه البقايا الأثرية قالوا إنها تشبه كثيراً الخزفيات الفينيقية . وطريقة دفن الموتى في جرار هي أيضاً فينيقية .

وهناك منطقة أخرى من الامازون ، اكتشفت فيها جرار وآنية خزفية مماثلة تماماً لآثار «ميراكويرا » وهي باكوفال (Pacoval) في جزيرة « ماراجو » (Marajó)

واستنتاجات العلماء هي نفسها في كلا الحالين : من مهد أسيوي ، والارجح من الشعب الفينيقي أتى بعض البحّارة وأسسّوا حضارة الامازون الأعلى البائدة .

نقدّم هنا رسوم بعض الجرار والآنيــة الخزفية التي اكتشفت في ميراكويرا وباكوفال نقلاً عن المجلّد الاول لكتاب برنردو راموس المذكور ، الذي بدوره أخذها عن المجلد الرابع لفيلّوزيا (لوحة ١ ـ ١٠) (راجع اللوحات في آخر الكتاب)

٢) أصالة هذه الآثار وقيمتها التاريخية

نعتقد مع برنردو راموس وكاتبي « فيلّوزيا » أن آثار ميراكويرا وباكوفال هي قديمة العهد جداً وتُثبت وجود حضارة عريقة في ولاية الامازون البرازيلية .

ثم نلاحظ أن طريقة دفن الموتى على الشكل المذكور والجرار التي

عُثر عليها وما وجد قربها من خزفيات كلها تشبه ما اكتشف في مدينة جبيل الأثرية وفي مدافن « اوتيك » (Utique) قرب قرطاجة .

أما الآنية المنزلية وغيرها التي عُثر عليها قرب المدافن ، فإن صحّ ظن البعض بكونها فينيقية ، ربما يكون الدافع اليها عامل آخر غير الذي ذُكر عن اعتقاد سكان الامازون القدماء بالبعث والحياة الاخرى . نعرف عن الفينيقيين أنهم كانوا يؤمنون بوجود نفسين في الجسد الواحد . الواحدة نباتية : « النفس » والثانية روحية : « الروح » . في ساعة الموت لا يفقد الانسان الاّ الروح ، ويحافظ في قبره ، قرب الجسد ، على النفس التي تحتاج إلى طعام وشراب ونزهة وإلى التمتع بمناظر الطبيعة . ولذلك دُفنت قرب الاموات أشياء تحتاج اليها النفس النباتية .

ولسنا ننكر امكانية اتفاق الشعب الفينيقي والشعب الامازوني القديم على نفس المعتقد الديني بدون سابق معرفة ولقاء ، وإن لم يكن هذا الواقع عادياً ومألوفاً .

لكن من جهة ثانية ، يصعب علينا أن نتفهّم تأخر وبدائية سكان اميركا الأصليين بينما انّ الآثار المكتشفة تدل على حضارة ورقي . فطريقة شغل الفخار وطبخه بلغت درجة ممتازة من الفن والاتقان . وكذلك الألوان الجميلة والثابتة التي استعملت لطلاء الخزفيات وزخرفتها ما قدرت الاجيال ولاعوامل الطبيعة أن تزيلها أو تشوّهها .

إن ما اوردنا هنــا لا يكفي للتأكيد أن الفينيقيين أبحروا من المتوسط ، ومنه انتقلوا إلى المحيط الأطلسي ، وبعد سفر طويل ، وصلوا إلى البرازيل حيث بقي بعضهم مدة طويلة من الزمن ، وبقيت هذه الاثار تشير إلى خطى أقدامهم وأعمالهم . لكن يكفي للقول : من المعقول أن شعباً متحضراً أتى من بعيد وترك هذه الآثار ، ثم انقرض أو اندمج بالشعوب الأصلية البدائية ، وكان نصيبه نصيبها . وهل أن هؤلاء المهاجرين هم فينيقيون ؟ هذا ممكن .

أما فكرة التزييف والتزوير فيجب الا تراود عقل أحد. ليس يصعب على العلماء أن يميّزوا الأشياء القديمة من الأشياء الحديثة. وفي ما يخص المدافن — الجرار، ما من أحد يتلهّى بجمع كمية كبيرة منها، ويخفي فيها عدداً كبيراً جداً من عظام الموتى، ثم يدفنها من جديد في الأرض منتظراً فيضان النهر ثم رجوعه إلى حالته الطبيعية، حتّى يطلع على الناس بنظرية جديدة قائلاً: هذه آثار فينيقية.

تماثيل وهياكل وانصاب

١) عرض وتحليل للآثار المكتشفة

نكتفي هنا بالكلام، بإيجاز، عن بعض النقوش والتماثيل والهياكل والانصاب التي اكتشفت في البرازيل، وأكثرها في ولاية الامازون وما حواليها. وفي ما بعد، ندرس بأكثر تعمّق الكتابات التي نُقشت على الصخور، في سائر أنحاء القارّة الاميركية، ولا سيما في البرازيل.

أخبر برنردو راموس أنه عثُر في اوروكارا **(Urucarâ)**، من أعمال ولاية الامازون على صخرة نُقشت عليها صورة ترمز إلى القبر أو الموت لأنها تحمل رسم جمجمة بين عظمين. وتعلو هذا الرمز الواضح نقوش أخرى شبيهة جداً بسفينة فينيقية، حسبما عرفت تاريخياً، واكتشفت رسوم لها في أماكن عدّة من الشرق والغرب، حيث سكن الفينيقيّون أو مرّوا (لوحة ١١).

وقرب نهر «جاتابو» **(Jatapû)**، وفي أنحاء أخرى من وادي الامازون اكتشفت نقوش، على صخور، قديمة العهد، تشبه الانصاب التي رفعها القرطاجيون لإلهة الخصب «تانيت».

لكن برنردو راموس، عندما روى هذا الخبر، لم يقدم صورة ضوئية عن تلك النقوش، بل اكتفى أن نقل رسم نصب شهير « لتانيت » عن:

(Manuel d'Archéologie Orientale de G. d'Onckem, p. 282)

وأراد أن يشير بذلك إلى هذا الشبه الكبير بين نصب « تانيت » وما يحمل من رموز، وبين النقوش الكثيرة التي عُثر عليها في البرازيل.

نثبت هنا رسماً للنصب المذكور كما ورد في الصفحة ٧٧ من كتاب العالم البرازيلي، المجلد الأول. (لوحة ١٢) ونضيف اليه رسوماً أخرى تشير إلى أصل وتطوّر رمز « تانيت » نقلاً عن كتاب جان مازيل المذكور سابقاً، صفحة ١٩٣ . وذلك لزيادة الايضاح ولسبب علاقته المتينة بما سمّي بيت ايل والذي سيرد ذكره في ما بعد.(لوحة١٣).

وقرب مصب واتوما (Uatumã)، وهو أحد أنهر ولاية الامازون، عُثر على نقوش قديمة جداً على صخرة كبيرة. اعتقد برنردو راموس وغيره من المؤرخين وعلماء الآثار أنها تمثّل رمزين للإلهين الفينيقيين الممثّلين بالشمس والقمر، وبينهما السفينة الفينيقية التي أشرنا اليها سابقاً وإلى وجود رسوم كثيرة لها حيث استوطن الفينيقيون أو مكثوا ردحاً من الزمن.

إننا نُثبت هنا هذا الرسم نقلاً عن الصفحة ٣٠٣ من المجلّد الاول لكتاب برنردو راموس المذكور (لوحة ١٤) .

وعلى شاطيء النهر المذكور شُيّد قديماً بناء كبير من حجر، وحتى الآن لم يهدم بكامله. زعم بعض علماء الآثار أنه هيكل فينيقي نظراً للآثار التي اكتشفت هناك. وهي تشبه إلى حد بعيد « بيت ايل » الفينيقي والانصاب (Obélisques) التي كانت تقدّم اكراماً لبعض الآلهة الفينيقية، وفاء لنذر أو طلباً لشفاعة. وذلك يتّضح من الوصف الذي أعطي عن الحجارة المنتصبة في أرجاء البناء، وعن شكلها الهندسي، ورأسها المروّس المتّجه إلى العلاء.

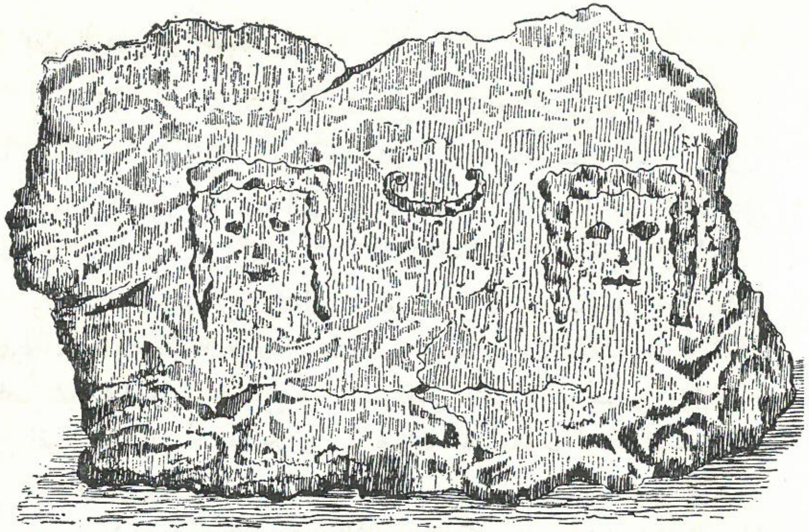

سفينة فينيقية منقوشة على صخر قرب مصب نهر واتوما

وعثر أيضاً على هياكل أخرى وأشياء مماثلة في اوروكارا، قال عنها المؤرخ « اوليس دي بينّيافور» (Ulysses de Pennafort) في كتابه: « برازيل الما قبل التاريخ » (Brasil Préhistorica, Ceará, 1900) أنها هي أيضاً هياكل فينيقية « وبيوت ايل » وأنصاب.

وفي بويري (Puiry)، من أعمال الريو نغرو (Rio Negro) عُثر على تمثال من حجر لبعال اله الشمس الفينيقي، رأسه مكلّل باكليل من نور. وشك البعض بقدم هذا التمثال نظراً لاكليل النور ظانّين أنه من العهد المسيحي، أي من بعد أن دخل الاوروبيون البرازيل، في أواخر الجيل الخامس عشر.

ولذلك فبرنردو راموس، وهو من عداد الذين يرجعون هذا التمثال إلى أصل فينيقي، أثبت في المجلد الأول من كتابه المذكور، صفحة ٦١، رسماً يمثّل الاله بعال، اله الشمس، مكلّلاً باكليل من نور، الموجود حالياً في متحف اللوفر، ليقابل بينه وبين صنم بويري (لوحة١٥).

٢) بين الرموز والحقيقة

أما موقفنا من هذه الاكتشافات والروايات فيلخّص على النحو الآتي :

إن أكثر الشعوب الراقية ، إن لم نقل كلها ، اختارت منذ نشأتها رموزاً أو علامات اصطلاحية تشير اليها ، وتعرف بها . وهذه الرموز تنقش على الصخور أو ترسم على اللوحات وتكون العلامة المميّزة في راية البلاد .

والسفينة كانت الرمز التقليدي للفينيقيين الذين اشتهروا ، في العالم القديم ، بأسفارهم البحرية . حيث وجدت صورة لسفينة ذات شكل خاص مميز إما مرسومة على لوحة قديمة أو منقوشة في صخر أو محفورة على نقود أو على أشياء أخرى ، يعرف المشاهدون أو المكتشفون أنه من هناك مرّ فينيقيّون .

ومن الارجح أن الصورتين الآنفتي الذكر (لوحة ١١و١٤) ترمزان حقاً إلى سفينة فينيقية وتشيران إلى مجابهة الفينيقيين لأمواج البحار وتخطيطهم بعيداً جداً ، ما وراء الاطلسي ، آخر حدود لفتوحاتهم السلميّة .

قلنا : «من الارجح» ولم نؤكّد ، لأن التأكيد صعب ولا رجعة بعده عنه. فربما وُجد في البرازيل شعب له تقاليد ورموز شبيهة بعادات الفينيقيين ورموزهم. هذا قليل الاحتمال ، لكنه يدخل ضمن نطاق الامكانية .

لا بدّ للمقابلة والايضاح ، من إثبات رسمين لصحفتين مزيّنتين بسفينة فينيقية (لوحة١٦ و ١٧) . الرسم الاول يمثل صحفة هي الآن في متحف برلين ، وعثر عليها في جزيرة قبرص. والثاني هو رسم لصحفة ثانية اكتشفت في انقاض قرطاجة .

وكم كنا نودّ أن يقدّم لنا برنردو راموس ، مع صورة تانيت وبعال اله الشمس ، المنقولتين عن التاريخ العالمي ، رسوماً أخرى مشابهة قيل إنها اكتشفت في البرازيل . لكان سهّل علينا المقابلة فالاقتناع ، أو عدم التصديق ، اذا لم يكن الشبه قريباً .

من المحتمل أن سبب هذه السلبية هو الجدال الذي دار ، في أيامه ،

حول « تانيت » وخاصة حول تمثال بعال المكلّل بالنور . لم يورد لنا رسماً عنهما لأنه حين وضع كتابه المشهور ، كان العلماء قد اطّلعوا كفاية على تلك الاكتشافات ، وربما شاهدوا التماثيل بأم العين . فافترض الكاتب أن لا حاجة لاثبات ما هو معروف .

أما هيكل الانصاب المذكور ، فحسب الاوصاف التي أعطيت عنه ، يمكن تشبيهه بهيكل الانصاب في مدينة جبيل الفينيقية . وهذا بلا شك لا « بينيافور » ولا « راموس » اطّلعا عليه عندما كتبا عن التاريخ البرازيلي . ولزيادة الايضاح نحن نثبته هنا (لوحة ١٨–١٩) نقلاً عن « موريس دينان »

(Maurice Dunand, «Byblos», Beyrouth, 1963, p. 51-52)

فالى شعب مهاجر إلى تلك الابعاد ، لا إلى الشعب البرازيلي الأصلي يمكنّنا أن ننسب كل هذه الآثار . وبالارجح إلى الشعب الفينيقي نفسه رغم بعد المسافات بين البحر المتوسّط والقارّة الاميركية .

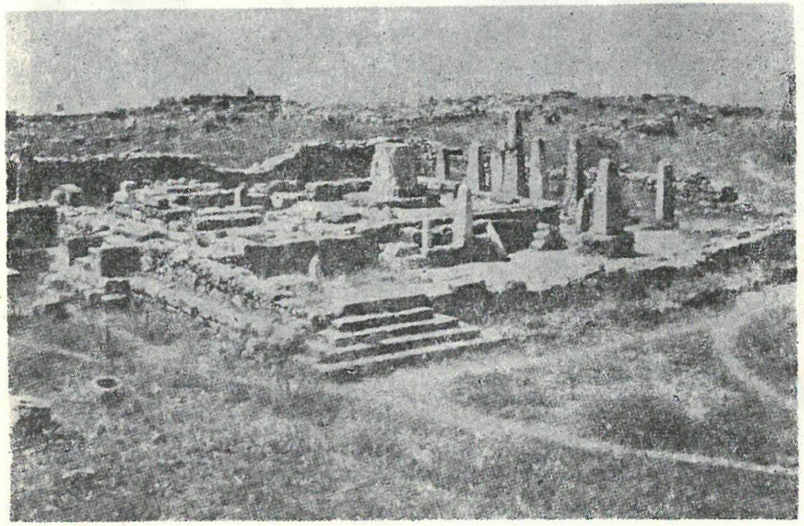

لوحة ١٨ هيكل الانصاب في جبيل

لوحة ١٩

الجهة الغربية لهيكل الانصاب في جبيل

حوار الصخور مع الماضي

أولاً) في انحاء شتى من القارة الاميركية

للصخور حديث وحوار رائع مع الماضي .

إن اكتشاف لوحة تاريخية منقوشة على صخر ما هو حدث هام جداً ، كفيل ، أحياناً ، بإحداث ثورة في معطيات التاريخ ومفاهيمه . يتوصل إلى استرجاع افكار وآمال ضائعة وإزالة غيرها في ذروة السيادة وعمق الثبات . جملة أو كلمة على صخر تقدر أ ن تملأ هاوية عميقة فارغة على طريق التاريخ وتفتح درب نور من الماضي إلى المستقبل .

يظهر ان هذا ما حدث تماماً في القارة الاميركية بعد أن ضيّعنا نحن ، بني الشرق ، طريق اجدادنا الفينيقيين وغاب عنا الكثير من أمجادهم . فاذا بأبناء الغرب يرشدوننا إلى الحلقات الضائعة من تاريخ الأجداد باستنادهم إلى كتابات نقشت على صخور وحُفظت رغم مرور الأجيال ، وفسّروها لنا ، بدون « تربيح جميلة » .

بعض الكتابات

نبدأ الآن بلمحة خاطفة عن بعض الاكتشافات الكتابية في بعض

بلدان القارّة الاميركية،ثم ندرس في ما بعد ، بأكثر توسّع ، ما عثرنا عليه في البرازيل .

صدر كتاب للدكتور نرسيسيو البرتي ، في سانتو دومينغو ،سنة ١٩١٢ ، تحت عنوان : « ملاحظات حول تاريخ كسكايا » (كوبا) عرض فيه المؤلّف نتائج سلسلة من الأبحاث حملته على الاعتقاد بوجود الفينيقيين في كوبا منذ حوالي ألف سنة قبل المسيح .

ووصل إلى النتيجة نفسها الفيكونت أونفروا دي تورون ،بعد أن قام بأبحاث تاريخية ولسانية في القارة الاميركية . وأكّد أيضاً أن القرطاجيين وصلوا هم بدورهم إلى أميركا ، بعد الصوريين والصيدونيين بأجيال قليلة . وقرأ اسم القائد القرطاجي « فوتان » بين النقوش التي عُثر عليها في أحد الكهوف .

واكتشفت في البيرو كأس فينيقية ، كما يزعمون،تشبه كثيراً الكؤوس الفينيقية التي وجدت في مدن الساحل الفينيقي .

وفي بوليفيا عُثر على كتابة فينيقية منقوشة على صخرة ، ترجمها أحد علماء اللغات على النحو الآتي : « لقد وصلت انا إلى هذا المكان » .

ووجدت كتابات في اميركا الشمالية، في ولاية بنسلفانيا ، يُستنتج منها انجماعات من القرطاجيين وصلوا إلى تلك الأبعاد منذ عـام ٣٧٢ ق . م . وكان عددهم كبيراً لأنهم كانوا على صلة بأكثر من سبعين أميراً وزعيماً من أعيان وطنهم . وذكروا في كتاباتهم أسماء معظم المدن الفينيقية كصور وصيدا وجبيل وقرطاجة . وذكروا اسم الإله « تاند » الذي كان الفينيقيون يلجأون اليه في آونة الشدة ، بالصلوات والقرابين .

صخرة ديكتون

ربما أن صخرة ديكتون استرعت انتباه علماء الآثار واللغات أكثر من كل الكتابات القديمة التي عُثر عليها في اميركا الشمالية .

تقع (Dighton Rock) في ولاية ماساشوتس ، على الشاطىء الشرقي من نهر « توتون » (Tauton) في الجهة المعاكسة« لديكتون » وتظهر للعيان في ساعات الجزر ، ثم تختفي تماماً أوقات المدّ.ولذلك يمكن مشاهدتها طوال ساعات معدودة كل يوم .

زعم اونفروا دي تورون أن هذه الكتابة مزيـج من الأحرف الفينيقية ومشتقاتها الموجودة في لغة « كمبانا » (Campana) . وتدل على زمان تحوّل وتطوّر في لغة فينيقيا ، ومن الارجح الجيل الرابع قبل المسيح ، جيل الاسكندر .

وقال إنه توصّل إلى حل رموزها وقراءة أحرفها التسعة والعشرين ، رغم صعوبتها المتأتية من اتصال هذه الأحرف ببعضها ومن شكلها الفني الغير المألوف .

أما ترجمتها ، حسب رأيه ، فهي هذه : « حسود الخير . لكي يسبب الخراب كان « يشلّح » . مرّت حياته الشهوانية كموجة سريعة » .

ثم انتقد كثيراً رأي « ماغنوزن » (Magnusen) السكنديناقي الذي اعتبر كتابة ديكتون اسكندينافية وأتهمه بتحويرها حسب مبتغاه ليجعلها تقول ما يريد هو وباللغة التي يريد .

أصالة هذه اللوحات الأثرية

ليس من السهل الحكم على صدق هذه الروايات أو عـدمه . أوردنا ما قرأنا عنها في أكثر من كتاب ومقال . لكننا لم نحصل على دراسة عميقة لاحدى هذه الاكتشافات . ولم نشاهد صوراً ضوئية الاّ لصخرة « ديكتون ». وهذه أيضاً غير واضحة . ولذلك ليس بإمكاننا أن نميّز هل هي فينيقية أو لا . (لوحة٢٠) .

لكن ، إن زوّرت مثلاً واحدة أو اثنتين من هذه الكتابات المذكورة او اخطأ العلماء في معرفة أصلها ، فهل يمكن الاستنتاج أنها كلها كتابات مزوّرة أو مختلقة أو حصيلة مخيّلة شاذّة ! لسنا نعتقد . فلا بدّ من أساس متين للاخبار التي أذيعت عن بعض الاكتشافات الآنفة الذكر .

ثم تدل الأبحاث العلمية حتى الآن ان السكان الاصليين في اميركا ما عرفوا الحديد والفولاذ قط. بينما يوجد آثار كثيرة، خرائب قديمة ونقوش على صخور قاسية، نذكر منها صخرة ديكتون، التي هي حتى الآن بين مدّ وجزر، لا بدّ أن يكون عمل فيها إزميل من حديد أو فولاذ والاّ لما ثبتت النقوش والكتابات عليها، رغم بعد الزمن وعوامل الطبيعة. هذا الواقع، ان دلّ على شيء، فعلى ان الذين سافروا إلى اميركا واستوطنوها مدة من الزمن وتركوا لهم آثاراً تشهد لقدرتهم وعظمتهم، هم الوحيدون هناك الذين عرفوا استعمال الحديد والفولاذ.

ثم إن صح قول البعض عن الشبه الأكيد بين الكتابات المذكورة التي عُثر عليها في اميركا الجنوبية والشمالية وغيرها أيضاً مما لم نذكر بعد، كتلك التي اكتشفها « غليوم لاجيان » (Guilhaume Lejean) في هيرزوغوفينا (Herzogovina)، سنة ١٨٥٨؛ وتلك الموجودة في اسبانيا (Léon)، والبرتغال، وجبل سينا. فهذا يشير إلى أن الشعوب التي مرّت بتلك البلدان لها علاقة قوية بعضها ببعض. ولماذا لا نقول إنها من شعب واحد! وهذا الشعب هو الفينيقي، سيّد البحار في العالم القديم! فإن بعض علماء الآثار واللغات أكّدوا، أحياناً بأدلّة مقنعة، أن هذه الكتابات تعود إلى أصل فينيقي، لا غش فيه.

ثانياً) في مجاهل الأمازون

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن كتابات قيل إنها فينيقية اكتشفت في بلدان شتى من القارة الاميركيّة، نحصر بحثنا بآثار مماثلة وجدت في البرازيل، مبتدئين بمجاهل الامازون. ولا بدّ ان نتعمّق الآن أكثر لأن معارفنا في هذا المجال أوسع، ولأن بين أيدينا صوراً ضوئية واضحة عن كتابات عدة عُثر عليها في البرازيل وشاهدنا بعضها بأم العين.

وما بحثنا هذا الا مجرد محاولة لجمع وترتيب وترجمة ونقد ما وصل الينا من معلومات عن كتابات نُقشت على صخور وشهد الكثيرون على أصلها الفينيقي.

لوحات ايتاكواتيارا

عُثر في « ايتاكواتيارا » التابعة لولاية الامازون على آثار وكتابات قديمة العهد جداً. لكن ضاع أكثرها لأن ابناء الجيل الماضي الذين شاهدوها لم يعرفوا قيمتها التاريخية، وان أثارت فضولية بعضهم. كان نصيب هذه الصخور ردم الحفر والطرقات. ودخل بعضها في أساسات المنازل والجدران.

لكن، نجى من الأيدي الجاهلة صخر في أربع قطع، صلب جداً، لونه وردي غامق، حفرت عليه كتابات غريبة. ولم يكن سهلاً، على علماء تلك الأيام، فك رموزها ومعرفة أصلها. لا سيما لأن بعض الحروف تغيّر شكلها قليلاً وامتزج بشقوق الصخر المنقوشة عليه. ورغم كل المصاعب، لاحظوا أنها قريبة إلى اللغة العبرانية وقالوا: ربما تكون فينيقية.

ولما أطّلع عليها برنردو راموس، في النصف الأول من هذا القرن، قال إنها كتابة فينيقية، لا غش فيها. وبالاستناد إلى اللغة العبرانية القديمة وإلى ما عرف في أيامه من حروف فينيقية، توصّل، حسب قوله، إلى قراءتها وترجمتها، ثم تكلّم عن أصل بعض الكلمات وتطرّق إلى معناها ومحتواها التاريخي.

من الانسب إثبات رسوم واضحة للوحات ايتاكواتيارا نقلاً عن كتابه المذكور، المجلد الأول، صفحة ٦٤ — ٦٩ (أنظر لوحة ٢١ — ٢٨). وكما تسهل الملاحظة، فالى النص الاصلي أضاف الكاتب الأحرف اللاتينية المماثلة ودوّن ترجمته للغة البرتغالية. (لوحة ٢٥ — ٢٨).

أما الترجمة العربية فهي هذه: « نحن، الكثيرين المجتمعين هنا، نقسم أننا هنا نملك بعد أن طردنا من نعيم طنجس، مخلّصين من

أبناء هابر . في النعيم ندخل نحن ابناء « إيغ » « وتهوم » (أي الهواء والبحر) .

ثم ينتقل « برنردو راموس » إلى شرح مفردات النص الأصلي ، حسب ترجمته ، فيقول : إن « طنجيس » هي مدينة طنجة بالذات .

اما « إيغ » او «Eg» او «Ik» فهو كائن رمزي او اله الريح أي الهواء المناسب الذي يساعد المهاجرين والمسافرين في الوصول إلى حيث يبتغون .

« وتهوم » معناه البحر . وكذلك في اللغة العبرانية « تهوم » او « يم » لها نفس المعنى، واللغة العربية حافظت على لفظة « يم » خاصة في الشعر. أما في اللغة الاشورية فهي تناسب « يمو » و « تيهامات » .

ويعتقد شارح النص ، ان هذا قديم جداً . فربما كتب بعد انتصار يشوع بن نون على الكنعانيين ، في الجيل الخامس عشر ق . م . او في عهد شلمنصر حوالي سنة ٧٥٠ ق . م .

من الواضح ، حسب هذا النص ، أن الفينيقيين أبحروا من الشاطيء الفينيقي إلى شواطيء افريقيا وكانت « طنجة » أحد المرافيء الذي نزلوا فيه . ومن هناك اتجهوا إلى الغرب . أما وصولهم إلى افريقيا فهو أكيد وثابت في آثار وكتابات عدة .

ثم يقدّم في كتابه صورة لصنم نُقش على صخرة في « ريو اوروبو » (ماكوارا) زاعماً أنه هو الاله « ايغ » . هنا نثبته كما ورد في المجلد الأول من كتابه المذكور ، صفحة ٥٩ . (لوحة ٢٩) .

كتابات ايبو

في مكان لا يبعد كثيراً عن « ايتاكواتيارا » اكتشفت كتابات

عدة منقوشة على بعض الصخور . وهي معروفة بكتابات « أيبو » ربما لقربها إلى البحيرة الحاملة هذا الاسم ، رغماً عن وجودها في الجهة الشمالية لنهر اوروبو . (Urubú)

ويعتقد برنردو راموس،مع غيره من علماء الآثار،انها كتابات فينيقية .

هذه إحداها نقلاً عن الصفحة ٩٤،من المجلد الاول،لكتابه الآنف الذكر . في السطر الإول دُوّنت الكتابة الأصلية،وفي الثاني الحروف اللاتينية المطابقة للفينيقية،وأخيراً الترجمة باللغة البرتغالية (لوحة ٣٠).

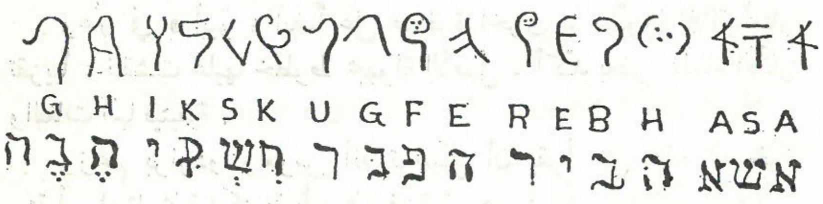

لوحة ٣٠ كتابة فينيقية في أيبو

أما الترجمة العربية فهي هذه : « ليدخل آسا وعابر (هابر) في نعيم « إيغ » .

والمحتوى التاريخي يلخّص بما يلي :

قيل في الكتاب المقدس عن آسا : إنه ابن ابيّام ملك يهوذا . « وفي السنة العشرين لياربعام ملك اسرائيل ، ملك آسا على يهوذا . ملك باورشليم احدى وأربعين سنة ... وصنع آسا ما هو قويم في عيني الرب كداود أبيه ونفي المخنثين من الأرض وازال جميع اقذار الأصنام التي صنعها اباؤه » . (الملوك الثالث : ١٥ : ٩ — ١٢) .

وعن عابر ذكر في سفر التكوين ما يأتي : « وارفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر . وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأنه في أيامه انقسمت الأرض » (١٠ : ٢٤ — ٢٥) .

حسب رأي برنردو راموس ، يمكن الاستنتاج من هذه الكتابة ان الفينيقيين الذين وصلوا إلى الامازون كانوا على خلاف مع بني آسا وعابر في الاعتقادات الدينية . والذي كتب على صخرة أيبو أراد أن يدعوهم جميعاً لعبادة إيغ ، اله الرياح البحرية ،فيشتركوا معاً بالتنعمات التي حصل عليها عباد ايغ ، بشفاعة هذا الأخير ، حيث أوصلهم مصيرهم وأبعدتهم الخلافات .

هذه الكتابة تشبه كثيراً ما عثر عليه من كتابات ونقوش في « ايتاكواتيارا »،وتبرهن على أن الذين استوطنوا ، لمدة من الزمن ، هاتين المقاطعتين المتجاورتين ،ينتمون إلى شعب واحد وهو الشعب الفينيقي.

وعثر في « أيبو » أيضاً على صخرة اخرى ، علوها ثلاثة أمتار تقريباً ، نُقشت عليها خطوط مجهولة الأصل ، أكّد بعض علماء الآثار واللغات أنها فينيقية .

وزعم برنردو راموس أنه توصّل أن يقرأ على هذه الصخرة ستة أسماء تاريخية مكتوبة بأحرف فينيقية وهي :

« نبه او « نبو » ـ جلعاد ـ نيره ـ غال ـ بليال ـ بيل » .

وبعد أن قدّم الرسم الضوئي للصخرة المذكورة ، أضاف الكتابة الفينيقية في ستة أسطر ، كما فهمها هو ، مع الحروف اللاتينية المطابقة لها .

وهذه صورة ضوئية لصخرة « أيبو » مع النص الأصلي ننقلها عن الصفحتين ١٠٠ و ١٠١ من « كتابات وتقاليد اميركا الما قبل التاريخ ... » المجلد الاول . (لوحة ٣١) .

أما المعنى التاريخي للأسماء المذكورة فنشرح على النحو الآتي :

« **نبه او نبو** » ـ جبل كبير على حدود أرض الموآبيين حيث أمر الله موسى أن يصعد ليشاهد أرض كنعان . وهو أيضاً اسم احد آلهة الميتولوجية الأشورية ، وذُكر مراراً في الكتاب المقدس .

جلعاد ـ ابن ماسير وحفيد منسى . كانت حصته جبال جلعاد ، في الجهة الشرقية لنهر الاردن . ولذلك أخذ اسم جلعاد (سفر العدد ٢٦ : ٢٩ وما بعده ؛ تكوين ٣١ ؛ تثنية الاشتراع ٢ ؛ يشوع ١٢ ؛

قضاة ٥٠ ؛ الملوك الاول : ١١) .

نيره ـ ابن ابيسال ، والد ابنير وعم شاوول .

غال ـ جاعل . هو ابن عابد . رجل قوي أراد أن يتخلّص من عبودية ابيملك لكنه فشل بسبب خيانة حاكم شكيم (قضاة ٩ : ٢٦ وما بعد) .

بليال ـ بليعال . تكلّم سفر القضاة في الفصل التاسع عشر عن قوم بليعال . وهي كلمة عبرانية معناها مجرم واحياناً ترمز إلى الشيطان كما في (٢ قرنثية ٦ : ١٥) .

بيل او بال او بالوس : احد ملوك بابل . بعد موته كُرّم كاله في مدينته .

وهذه الكتابة هي أيضاً تشبه ما وجد في ايتاكوا تيارا .

كتابة « واتوما »

تكلّمنا سابقاً عن نقوش في « واتوما » ترمز إلى سفينة فينيقية وإلى الهي الشمس والقمر .

أما حديثنا الآن فعن صخرة أخرى في « واتوما » (Uatumâ) نفسها تحمل كتابة قديمة العهد جداً،قال بعض علماء الآثار انها تشبه حروفاً في أبجدية الفينيقيين . وزعم برنردو راموس انه فك رموزها واكتشف فيها خمسة أحرف فينيقية ملتصقة بعضها ببعض ، ما عدا الحرف الأخير . وهي تؤلف كلمة « همينس » او « امينس » وتترجم بالعربية : « الايميون ». أما الحروف اللاتينية التي تشاهد قربها فقد أضافها لزيادة الايضاح . (لوحة ٣٢ ـ ٣٣) .

ثم انتقل الشارح إلى المحتوى التاريخي لهذه الكلمة فذكرنا أنه قيل ، في سفر تثنية الاشتراع : « وكان الإيميّون قد أقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالعناقيين . وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين . والموابيين يسمّونهم إيميين . » (تثنية . ٢ : ١٠ — ١١).

هذه الكتابة التي تشير إلى فئة من الشعب الكنعاني ، ربما حفرها أحدهم وكان من عداد المسافرين في سفينة فينيقية لأنه ، كما نعلم ، في الأسفار البعيدة التي قام بها الفينيقيّون انضم اليهم عبرانيون وبعض سكان القرى المجاورة لصور وصيدا .

ثم أنهى كلامه قائلاً : إلى شعب مهاجر من الشرق لا إلى السكان الأصليين يجب أن ننسب هذه الآثار في نهر واتوما وأمكنة أخرى من ولاية الامازون .

مغارة لاجس

عثر في لاجس (Lages) ، عند ملتقى ريو نغرو وسوليمونس ، على مغارة أثرية ، تبعد عشرة أميال تقريباً عن مدينة مناوس (Manaôs)

في تلك المغارة نقوش وكتابات كثيرة فُقد بعضها وبقي البعض محفوظاً حتى الآن . سنتكلّم عن ثلاثة منها فقط أكد عالم الآثار البرازيلي برنردو راموس انها فينيقية وحل رموزها، كما قال ، بالاستناد إلى الحروف العبرانية خاصة ، حسب عادته في دراساته هذه .

الكتابة الاولى التي وردت في الصفحة ٣٢٨ و ٣٢٩ من كتابه المذكور ، المجلد الاول (لوحة ٣٤ و ٣٥) هي غير كاملة لأنه فقد قسم كبير من تلك اللوحة الصخرية . الرسم الأول (لوحة ٣٤) هو رسم ضوئي للقسم المحفوظ من الصخرة مع الكتابة الأصلية . والثاني (لوحة ٣٥) صورة تشتمل على الكتابة بشكل واضح ، أضيفت اليها الحروف اللاتينية المطابقة للنص الأصلي ، حسب شرح وترجمة عالم الآثار البرازيلي .

أما معنى الكتابة فهو غير ذي أهمية لأنها ترجمت « كتابة على لوحة » .

لكن ، من ميزة هذه الكتابة انها تذكر اسم كاتبها «غاد» كما يفعل الرسّامون والنحّاتون والخطّاطون ، في أيامنا .

وهناك كتابة ثانية (لوحة ٣٦) حفرها على صخرة في المغارة ، الكاتب الذي اكتشف اسمه على اللوحة السابقة لأنها تحمل اسم «غاد» ، اي الامضاء نفسه .

هي كتابة فنّية بأحرفها وتنسيقها الجميل. أما ترجمتها فحسب رأي عالم الآثار الامازوني الذي ننقل هنا رأيه فهي : « الغنى السريع يسبّب خراباً » .

الكتابة الثالثة ، كما وردت في كتاب العالم المذكور (أنظر لوحة ٣٧ و ٣٨) وجدت أيضاً على صخرة في المغارة نفسها .

هي كتابة فينيقية كتبت بشكل هندسي ، فني ، متناسق ، متناسب . وتتّصل أحرفها بعضها ببعض .

الصورة الاولى (لوحة ٣٧) تمثّل الصخرة بشكلها الطبيعي مع الكتابة المنقوشة عليها . والصورة الثانية (لوحة ٣٨) فيها دوّنت الكتابة بوضوح وأضيفت الأحرف اللاتينية المناسبة للنص الأصلي ، وأخيراً الترجمة للغّة البرتغاليّة .

أما ترجمتها العربية فهي : « حدثت اعجوبة » .

نحن نأسف لأننا لم نعرف ما هي الاعجوبة وما سببها . الارجح أنه حدث شيء مؤثّر جداً أراد الكاتب الفينيقي أن يخلّد ذكراه .

صخور مناوس واوروبو

في مناوس (Manaòs) ، التي تبعد عشرة أميال عن مغارة لاجس ، اكتشفت آثار وكتابات مماثلة لتلك التي ذكرنا حتى الآن .

في أواخر الجيل الماضي عثر هناك على صخور عدة تحمل نقوشا وكتابة غريبة . لكنها لم تستَرعِ اهتمام سكان تلك المنطقة لأنهم كانوا يجهلون قيمتها التاريخية ولانهم لم يجدوا معها لا ذهباً ولا فضة . فاستعملوها كباقي الحجارة ، للردم وللبناء . وهكذا أضاعوا أثراً تاريخياً لا يثمّن .

وقد نجت بعض اللوحات من ذلك المصير المشؤوم ، فأرسلت لوحتان صخريتان كبيرتان مع غيرها من ريو اوروبو ، سنة ١٨٨٤ ، إلى العاصمة ليدرسها علماء الآثار واللغات هناك ويعطوا رأيهم فيها .

وهذه أيضاً كان نصيبها أتعس من تلك . وقد ذهب في أوائل هذا الجيل صاحب « كتابات وتقاليد اميركا ما قبل التاريخ ... » إلى الريو دي جانيرو ليتفقّد تلك اللوحات ، في المتحف ، فلم يجد لها أثراً ، ولم يسجّل وصولها إلى هناك .

وبعد بحث وتفتيش عثر على ثلاث قطع صخرية صغيرة في مناوس نفسها فحلّ رموزها وكتب عنها مقالاً في (Gazeta da Tarde) في ٦ ايلول سنة ١٩٢٢ . عن هذا المقال أخذنا معلوماتنا. (أنظر لوحة ٣٩ — ٤١) .

هذه لوحات مناوس الثلاث ، كما وردت في المقال المذكور آنفاً ثم في الصفحة ٣٥٢ من كتاب برنردو راموس .

وكما هو واضح ، إلى الصورة الضوئية لقطع الصخر مع الكتابة ، أضيفت الحروف اللاتينية المناسبة للنص الأصلي ، ثم الترجمة .

حسب رأيه ، كتبت على هذه اللوحات الصخرية الثلاث بعض الحروف الفينيقية ، وهي تشير إلى موضوع واحد ، إلى رواية أو حادث تاريخي ، ذكر في الفصل الخامس من نبوءة دانيال .

إنه يخبر عن الملك بلشصر الذي صنع وليمة لعظماء بلاده وشرب خمراً بآنية الذهب التي أخرجت من هيكل بيت الله الذي باورشليم مع عظمائه ونسائه وسراريه . وسبّحوا آلهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر . وفي تلك الساعة ظهرت أصابع يد انسان وكتبت تجاه المصباح ، على كلس حائط قصر الملك ، كتابة غريبة .

حينئذ تغيّرت سحنة الملك فارتاع واصطكت ركبتاه . وبعد أن فشل جميع المجوس والمنجمّين في تفسير الكتابة قرأها له دانيال على النحو الآتي : « منا تقل وفرسين » وهذا تفسير الكلام . منا اي أحصى الله ملكك وأنهاه . « تقل » أي وزنت في الميزان فوجدت ناقصاً . « فرس » أي قسمت مملكتك ودفعت إلى ماداي وفارس » (دانيال٥ : ٢٥—٢٨).

وهناك اسم آخر في اللوحة الثالثة وهو « دان » حسب رأي الكاتب المذكور .

ودان ، كما نعلم ، هو اسم احد اسباط اسرائيل وبنفس الوقت اسم علم يهودي . ويمكن أن يكون فينيقياً أيضاً .

أصل هذه اللوحات وقيمتها التاريخية

إنّ هذه اللوحات الصخرية لا تملي علينا تقليداً تاريخياً قيّماً وحسب ، بل هي تردّد ، عبر الأجيال ، انشودة ربيع جديد أوحى به شعب طموح أراد اكتشاف المجهول ، فأرسل بحّارته سفراء يبشّرون بقدرته وعظمته في سائر أنحاء العالم .

أقلع هؤلاء من الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط متّجهين نحو بلدان الغرب المعروفة آنذاك ، فوصلوا أخيراً إلى قارّة غير معروفة ، إلى مجاهل الامازون .

فالتاريخ الذي جهل أو تجاهل الكثير من أعمال هذا الشعب العظيم ودفنها في مطاوي النسيان ، يحاول بعد طول الزمن أن يُزيل الغبار

عنها فتظهر بكل جمالها وعظمتها في وضح النهار . وذلك بفضل لوحات صخرية نُقشت عليها كتابات فينيقية في أماكن مختلفة من ولاية الامازون وغيرها .

نحن نعتقد أن معظم هذه اللوحات الصخرية — ان لم تكن كلها — تحمل كتابات فينيقية لا غش فيها .

قلنا : « معظم اللوحات » لأن ثلاثا منها لا يسهل علينا التأكد من أصلها الفينيقي ، وهي :

١) كتابة واتوما (لوحة ٢٥) التي ترجمها برنردو راموس بكلمة « امينس » وقال إنها تعني : « الا يميين » .

فإن اتصال خطوطها وتلاحمها ، خلافاً للعادة ، يحملنا على الشك بكونها كتابة فينيقية ، رغم شبه لا يُنكر ببعض الحروف الفينيقية .

ثم لا نعتقد بصحة ترجمة كلمة « امينس » التي أعطاها المؤلّف معنى ايميين لأن هذه الصيغة هي أشبه بصيغة لاتينية منها بلغة ساميّة .

٢) لوحتا لاجس الثانية والثالثة المترجمتين على النحو الآتي :

« الغنى السريع يسبّب خراباً » .

« حدثت اعجوبة » .

الصعوبة الكبرى التي تعترضنا هنا هي أيضاً تشابك الحروف والخطوط بعضها ببعض ، بحيث يتعذّر علينا تمييز بداية الحرف من نهايته ، أو حتى إن كانت هذه الخطوط كتابة أو رسماً رمزياً . فهاتان اللوحتان هما أشبه برسمين هندسيين جميلين منهما بكتابة استعملت فيها حروف أبجدية ، من احدى اللغات المعروفة .

أما باقي اللوحات فنحن نثق أنها فينيقية ، لكننا لسنا نثق بالترجمة التي أعطاها برنردو راموس . فبعد دراستنا للابجدية الفينيقية وتطورّها على مدى الاجيال ، ثم مقابلتنا الكتابات الامازونية مع هذه الابجديات ، لاحظنا أن الكاتب المذكور أخطأ في تفسير بعض هذه الحروف . وبذات الفعل ، لم يحسن فهم وترجمة الكلمات ومعرفة المحتوى التاريخي الذي ترمز اليه .

من أخطائه الواضحة اعتبار الواو (و) ياء (ي) والصاد (ص) هاء (٥) والشين (ش) سيناً (س) ...

ربما ان الدافع الاكبر لهذا الخطأ الأخير هو الشبه الكبير بين الشين الفينيقية والسين العبرانية . فكما نعلم ، إن عالم الآثار الآمازوني ذكر مراراً أنه استند ، بنوع خاص ، إلى الأبجدية العبرانية ، لكي يفهم الأحرف الفينيقية . فإن ساعدته أحياناً على فهم بعض الحروف ، فبدون شك أودت به إلى عدم التوفيق في تقييم حروف أخرى .

أما نصب ماكوارا في ريو أوروبو(لوحة٢٢) فلسنا نعلم من أوحى لبرنردو راموس أنه يمثّل الإله الفينيقي « ايغ » . كما اننا لم نقع على أثر لهذا الإله المزعوم ، في الميتولوجية الفينيقية .

وعن التاريخ والمحتوى التاريخي للكتابات المنقوشة على صخور الامازون فلم يذكر لنا العالم البرازيلي الشيء الكثير .

عن لوحات ايتاكواتيارا قال إنها كُتبت بعد انتصار يشوع بن نون على الكنعانيين في الجيل الخامس عشر أو في عهد شلمنصر ، حوالي عام ٧٥٠ ق . م .

حتى لو افترضنا ان الترجمة التي قدّمها لنا صاحب« كتابات وتقاليد أميركا الما قبل التاريخ .. » هي صحيحة وصادقة ، فلسنا نوافق على التاريخ الذي افترضه . لاننا لا نعتقد أن انتصار يشوع بن نون على الكنعانيين كان في الجيل الخامس عشر ، بل بعد ذلك بكثير ، في وقت كانت مصر مقسّمة على نفسها وضعيفة بحيث كانت قد فقدت كل تأثير مباشر على الأرض الفلسطينية . هذا الواقع التاريخي تحقّق في أيام الفرعون مرنفتا (١٢٣٢ — ١٢٢٤ ق . م) الأخيرة أو في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٦ ق . م) .

(Cf.-E. Drioton, « La date de l'Exode » : Revue d'Histoire et de Philosophie religieuse, 35 (1955) pp. 36-49.
— Luis Arnaldich, Biblia Comentada Vol. II, Madrid 1963, pp. 30-31.)

ويمكن الاستنتاج من لوحات مناوس الثلاث (لوحة ٣١ — ٣٣)—

إن صحّت الترجمة — انها كتبت في الجيل السادس قبل المسيح أو في ما بعد لأنها ترمز إلى حادث ذُكر في نبوّة دانيال عن نبوكدنصّر البابلي الذي عاش في الجيل السادس .

وليس من الصعب أن يلاحظ القارىء كيف ان برنردو راموس حوّر بعض الأسماء التاريخية التي قرأها على الصخور لتناسب رأيه . مثل « هابر » التي أصبحت « عابر » و « جاعل » أصبحت « غال » و « أمينس » كما ذكرنا سابقاً ، غدت في نظره وحسب ترجمته ، « ايمبين » .

أما فكرة التزوير التي تراود عقل الكثيرين عندما يسمعون باكتشاف نص فينيقي في اميركا ، فلسنا نقبل بها أبداً . ولا نعتقد أنه يصعب على العلماء تمييز نقوش كتابية قديمة العهد من النقوش الحديثة . وعندما اكتشفت أكثر هذه الكتابات لم يكن يوجد في الامازون من يعرف اللغة الفينيقية .

كما أن السكان الذين شاهدوا تلك الصخور الأثريّة لم يقدّروا قيمتها ولذلك فقد منها الكثير ، كما ذكرنا . فالذي يُزوّر كتابة يسعى جهده لئلا تفقد أبداً .

الخلاصة ان كل الاخطاء الواردة في الترجمة والتاريخ لا تؤثّر على النقطة الجوهرية الهامة وهي أن أكثر هذه الكتابات من أصل فينيقي وتبرهن عن وصول الفينيقيين إلى ولاية الامازون البرازيلة .

ثالثاً) صخرة غافيا

بعد أن تكلّمنا عن كتابات فينيقية عثر عليها في مجاهل الامازون ننتقل الآن إلى مكان آخر من البرازيل بعيد جداً عن الولاية المذكورة ، إلى المدينة المذهلة ، ريو دي جانيرو ، حيث توجد صخرة كبيرة ، تتبوأ تلة مشرفة على البحر ، تحمل كتابات قديمة غريبة . وهي المعروفة بصخرة غافيا لأنها وسط منطقة دعيت بهذا الاسم .

لم يُعرف بالتدقيق زمان اكتشاف الكتابة ، لعدم حاجة علماء الآثار إلى حفريات حتى يعثروا عليها . إنها في مكان مرتفع فوق سطح الأرض ومن المحتمل انها شوهدت منذ أجيال ، نظراً لقربها إلى البحر .

لكن يبدو أنها لم تسترع أنظار علماء الآثار واللغات حتى أوائل الجيل الماضي . — ولم يكن ممكناً قبل ذلك العهد. —أول خبر رسمي عرف عن الكتابة ، حتى الآن ، هو ما ذُكر في مجلة اكاديمية التاريخ والجغرافيا البرازيليـــة (Revista do Instituto Historico e geografico do Brasil). في الصفحة ٦٦ من المجلد الاول . في محضر الجلسة الثامنة الفائقة العادة ، المنعقدة في ٢٣ آذار سنة ١٨٣٩ ، بقلم « جوزي دا كونيابربوزا » (José da Cunha Barbosa) جاء ما يلي :

« على احدى تلال شاطىء ريو دي جانيرو ، جنوب برّا دا تيجوكا (Barra da Tijuca) يوجد كتابة بأحرف فينيقية محـــا الزمن بعضها . وهي توحي عن قدم عهد . شاهد هذه الكتابة اختصاصي باللغات الشرقية ، واستنتج أنه زار البرازيل شعب قديم يعرف الملاحة ، أتى قبل البرتغاليين بأجيال . وأكدّ لي أنه أطلع حكومة يوحنا السادس (D. João VI) على حقيقة الأمر ، وأنه نقل الكتابة ، كما هي ، بكل تدقيق .

وفي ما بعد (صفحة ٩٨ — ١٠٣) من نفس المجلة ، نجد دراسة عن تلك الكتابة مرفقة برسم واضح لها . نكتفي هنا بترجمة بعض مقاطع هذه الدراسة :

« إن اللجنة المكلّفة رسمياً من اكاديمية التاريخ والجغرافيا لتدرس وتنقل الكتابة المنقوشة على صخرة غافيا ، ذهبت إلى هناك ولم توفر على نفسها الوسائل الممكنة والمشقّات ... وها هي الآن تتقدّم من اكاديمية التاريخ والجغرافيا لتدلي بما شاهدت ولاحظت ...

كما ان الرياح دفعت بدرالفس كابرال (Pedralves Cabral)

وأفونسو سانشس (Affonso Sanches) إلى اكتشاف هذه القارة ، كذلك أيضاً أحد الشعوب القديمة دفعه طموح التجارة ليمخر عباب اليم ،فتمكّن ، للأسباب نفسها ، أن يحطّ رحاله على شواطئنا فيكتب اسماً على صخرة او ذلك الحدث التاريخي ، لكي في كل زمن ، ترجع اليه الأجيال الآتية مجد هذا الاكتشاف العظيم .

كتابة غافيا هي في وضع مناسب لهذه التخمينات : إنها مشرفة على البحر ، على صفحة صخرة شكلها مكعب ولا يتعذّر الوصول اليها . كتبت بأحرف كبيرة ، من ستة أو سبعة أشبار ويقدر أن يشاهدها ، بالعين المجرّدة ، كل الذين من هناك يمرّون . ولاحظنا أن سكان تلك المنطقة كانوا يعرفون بوجود هذه الحروف على الصخر ...

فالانسان الذي يصل إلى ذلك المكان ويرغب أن يخلّد ذكراً لمروره ، يؤخذ بروعة المشهد ويُغر بأبّهة تلّة غافيا وعظمتها وبموقع ذلك الصخر المطلّ بإحدى جهاته الملساء ، تقريباً ، على البحر .

لكن ، أيها السادة ، مع هذه الاعتبارات التي توجّه تفكيرنا إلى الاعتقاد بصحة ما ذُكر ، يوجد اعتبارات أخرى تعاكس هذا التفكير وتلزمنا أن نتأرجح بين الايجابية والسلبيّة » .

وبعد أن اعترف مقرّر اللجنة انهم لم يتوصلّوا إلى معرفة أصل الكتابة وفك رموزها وانهم لم يقولوا بعد ، الكلمة الأخيرة حول هذا الموضوع ، أعرب عن أمله أن يأتي يوم يظهر فيه ، من بين أعضاء اكاديمية التاريخ ، عالم قدير يترجم لهم حوار صخرة غافيا مع الماضي وينير جزءاً مظلماً من تاريخ البرازيل القديم . ويكون بمثابة « شمبوليون برازيلي او نيوتن جديد أو كيفييه النيل »

وفي نهاية الدراسة كتب هكذا :

« ريو دي جانيرو ، ٢٣ ايار ١٨٣٩

الامضاء : « مانويل دي اراووجو بورتو الغري »

(Manoel de Araujo Porto Alegre)

جوزي داكونيا بربوزا (José da Cunha Barbosa)

وكشاهد «جوزي رودريكز مونتيرو» (José Rodriguez Monteiro)

رأي برنردو راموس

يقول برنردو راموس : الافتراض أن هذه ليست الكلمة الأخيرة للأكاديمية المحترمة ، في الموضوع . ثم العزم على القيام بمحاولة أخرى للوصول إلى نتيجة مرضية يدفعاننا إلى إعطاء وجهة نظرنا .

هذه صورة لصخرة غافيا (لوحة ٤٢) مع رسم واضح للكتابة. (لوحة٤٣) وقد أضيفت ،إلى النص الأصلي،الحروف اللاتينية المطابقة ، ثم الترجمة إلى اللغة البرتغالية . اما الترجمة العربية حسب رأي برنردو راموس فهي هذه : « صور فينيقيا باديزير بكر (بن) جيتبعال » .

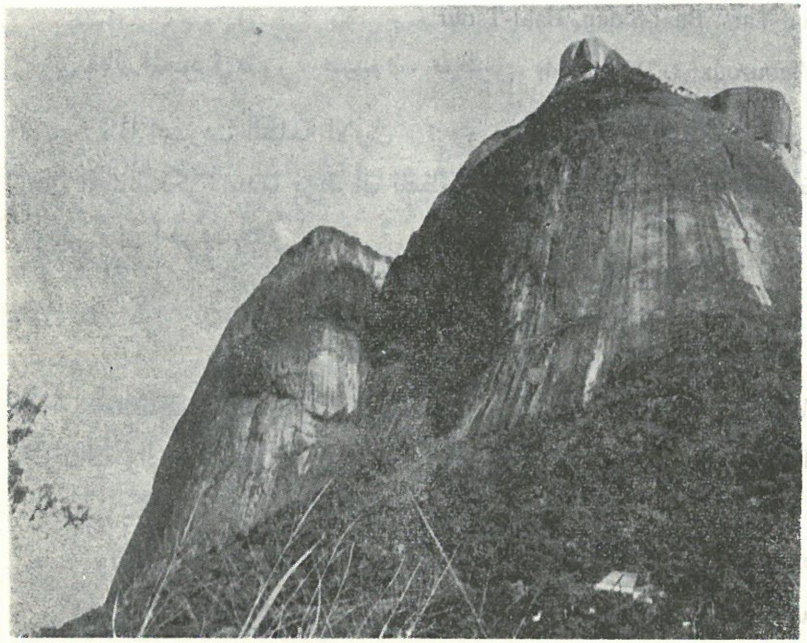

لوحة ٤٢ صخرة غافيا

كما نلاحظ من خلال الترجمة ومن الكتابة نفسها ، قسم عالم الآثار المذكور هذا النص إلى خمس كلمات .

الكلمة الاولى من أربعة حروف وهي « TSUR » (تسور) او « TZUR » (تزور) وليست « صور » كما كنا ننتظر .

ثم يبرّر كلامه قائلاً : « هكذا كانت تلفظ أحياناً.ويستند على المراجع الآتية :

— TZOR pag. 720, TSUR p. 675 — Dictionary of the Bible. By William Smith L.L.D. New York and Chicago.

— TSOR Diccionario Popular. Pinheiro Chagas, citado v. 13 p. 169.

— ثم M. Vogue في معرض كلامه عن عبادة الفينيقيين يذكر :

Baal-Tars, Baal-Sidan, Baal-Tsour

اي بعال المعبود في صور ، صيدون ، طرطوس. (Vigouroux; t. IV p. 444)

فاذا اعتبرت الكلمة الاولى « تزور » اي صور لا نحتاج إلى تحوير في الكتابة.لكن عندما نريد أن نلفظها « تزور » نحتاج إلى اضافة بعض الشيء إلى الحرف الثاني .

RUST أو RUZT

أما الكلمة الثانية فهي « فوينيسيان » (Foenician) أي فينيقيا .

والثالثة والرابعة هما « بدزير » (Badzir) و « راب » (Rab) اي باديزيربكر (او ابن او ولي العهد) .

وللكلمة الاخيرة ، « جيتبعال » بعض الميزات ، في ترتيب الحروف وكتابتها . منها حرف التاء الأكثر ارتفاعاً من الحرفين المحاذيين له .

والدافع إلى ذلك ، كما يظهر ، لئلا يلتصق خطه الافقي بهما معاً .

ومنها الحرف الأخير ، إلى الشمال ، مُحي قسم كبير منه وشوّه منظره . لكن بدون شك ، هو « ل » فينيقية . وان ظهر شبيهاً بال « V » اللاتيني ، فذلك يعود إلى تمديد أحد خطوطه .

أما باقي الحروف فلا تحتاج إلى ملاحظات هامة سوى الاشارة إلى قدمها وتأثير عوامل الطبيعة والزمن عليها .

يعتبر برنردو راموس أن جيتبعال المذكور هو أحد ملوك صور في الجيل التاسع ، ذاك الذي لُقّب ، في الكتاب المقدس ، بملك الصيدونيين ويذكرونه في الترجمة العربية ، للمطبعة الكاثوليكية ، تحت اسم « اتبعل » بينما ان (Bible de Jérusalém) تدعوه : (Ittobaal) « ايتّوبعال » . (الملوك الثالث ١٦ : ٣١) .

ولذلك استنتج العالم الامازوني أن هذه الكتابة نُقشت على صخرة غافيا في عهد ايتبعال » (ايتّوبعال) ، ملك صور ، بين عام ٨٨٧–٨٥٦ أو في عهد خليفته باديزور (باديزير) ، بين عام ٨٥٥ — ٨٥٣ .

رأي فان دين براندن

بعد مضي أربعين عاماً تقريباً على نشر المجلد الاول من كتاب برنردو راموس الذي فيه يتكلّم عن صخرة غافيا ، رجعنا من جديد وسلّمنا صورة ضوئية عن الكتابة إلى المستشرق البلجيكي فان دين براندن ، مؤ لف كتاب غرامطيق اللغة الفينيقية . فأقرّ هو بدوره أن الحروف المكتوبة على صخرة غافيا هي فينيقية .

لكنه لم يوافق أبداً على ترجمة العالم البرازيلي ،ولم يعتبر الكتابة من الجيل التاسع قبل المسيح ،بل أكّد أن هذه الحروف كانت مألوفة في قرطاجة ، منذ الجيل الثاني ق . م . حتى الجيل الاول ب . م . ، ما عدا حرف الشين .

ثم فكّ رموز النص المذكور حرفاً فحرفاً ،وقدّم شرحاً كافياً لجميع كلماته ، حسب قواعد اللغة الفينيقية ، كما كتبها هو . وترجمه على النحو الآتي :

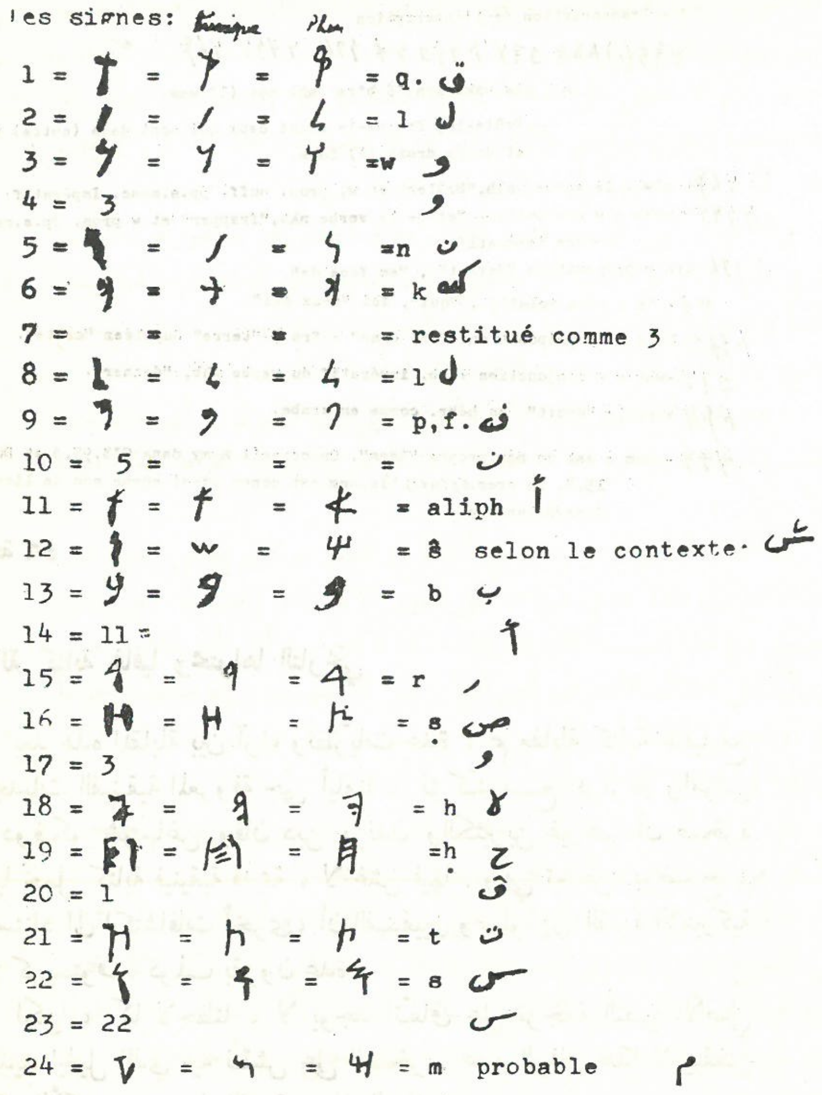

لوحة ٤٥

« أحرقه ، أضرب به أمام الذين هم على هذه الأرض واعط حقاً ليَسّم » .
ويعتقد انّ هذا الكلام موجّه لاحد الآلهة ، طلباً للانتقام و دعاء للحق.
ويستنتج من ذلك أن الفينيقيين وصلوا إلى اميركا الجنوبية ما بين الجيل الثاني ق . م . والاول بعده . والارجح هم فينيقيّون من قرطاجة غادروا بلادهم بعد الفتح الروماني .

نثبت هنا جزءاً من هذه الدراسة ، كما كتبها الشارح المذكور ، باللغة الفرنسية ، أمانة منا لتفكيره . (لوحة ٤٥ — ٤٦)

ولا بد ، قبل ذلك ، لزيادة الايضاح ، من أن نقدّم الأبجدية التي اعتمدها العالم البلجيكي في كتاب قواعد اللغة الفينيقية . وهذا ما يسهّل فهم الموضوع بسبب الاطّلاع على اصطلاحات بدونها تخفى على القارىء كلمات عدّة . كما في لوحة ٤٤ ادناه :

Lettre	Valeur		Nom
𐤀	ا	'	aleph
𐤁	ب	b	beth
𐤂	ج	g	gimel
𐤃	د	d	daleth
𐤄	ه	h	hé
𐤅	و	w	waw
𐤆	ز	z	zain
𐤇	ح	ḥ	het
𐤈	ط	ṭ	têt
𐤉	ي	y	yod
𐤊	ك	k	kaph
𐤋	ل	l	lamed
𐤌	م	m	mêm
𐤍	ن	n	nun
𐤎	س	s ś	samek
𐤏	ع	ʿ	ain
𐤐	ف	p	pé
𐤑	ص	ṣ	sadé
𐤒	ق	q	qoph
𐤓	ر	r	resh
𐤔	ش	š ś	shin
𐤕	ت	t	taw

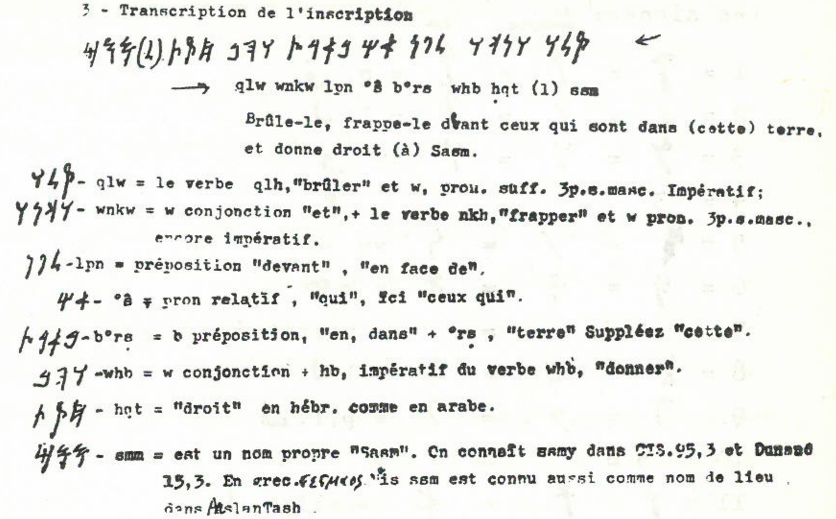
3 - Transcription de l'inscription

→ qlw wnkw lpn °ŝ b°rs whb hqt (l) ssm

Brûle-le, frappe-le dvant ceux qui sont dans (cette) terre, et donne droit (à) Sasm.

- qlw = le verbe qlh,"brûler" et w, prou. suff. 3p.s.masc. Impératif;
- wnkw = w conjonction "et",+ le verbe nkh,"frapper" et w pron. 3p.s.masc., encore impératif.
- lpn = préposition "devant" , "en face de".
- °ŝ = pron relatif , "qui", ici "ceux qui".
- b°rs = b préposition, "en, dans" + °rs , "terre" Suppléez "cette".
- whb = w conjonction + hb, impératif du verbe whb, "donner".
- hqt = "droit" en hébr. comme en arabe.
- smm = est un nom propre "Sasm". On connaît ssmy dans CIS.95,3 et Dunand 15,3. En grec. ... is ssm est connu aussi comme nom de lieu dans AslanTash .

لوحة ٤٦

أصالة كتابة غافيا ومحتواها التاريخي

بعد هذه المقابلة بين آراء ونظريّات عدة ، ثم مقابلة كتابة غافيا مع الابجديات الفينيقية المعروفة حتّى أيامنا ، نؤكّد مع برنردو راموس ولودوفيكو شونهاغن وفان دين برندن والكثيرين غيرهم أن صخرة غافيا تحمل كتابة فينيقية قديمة ، لا غش فيها . وهي تبرهن بوضوح ، بالاستناد الى اكتشافات أخرى ، أن الفينيقيين وصلوا إلى القارة الاميركية قبل كريستوف كولمب بقرون عدة .

لكن ، كما لاحظنا ، لا يوجد اتّفاق على ترجمة النص الأصلي وتحديد الجيل الذي فيه نُقش على الصخر . عدم الوفاق هذا لا ينقض الواقع الأكيد : وصول الفينيقيين إلى البرازيل .

أسباب الخلاف لا بدّ أن تكون كثيرة . منها الشبه الكبير بين الحروف الفينيقية نفسها ، كالدال والراء مثلاً ، والقاف والتاء ...

هذه الفروقات والالتباسات بدت واضحة في المقابلة بين ترجمة برنردو راموس وفان دين برندن .

ثم لا ننس أن هذه كتابة نُقشت على صخر بالازميل او بآلة معدنية أخرى وليس بالقلم على ورقة مصقولة . فلا بدّ من تحريف بعض الأحرف ، سعياً وراء السهولة وابتغاء للفن .

والاجيال التي مرّت محت بعض معالم الخطوط المحفورة . لذلك يلتزم عالم الآثار واللغات أن يلتجىء إلى التخمينات لتكملة حرف يبدو ناقصاً ولتمييز خط امتزج بشقوق الصخرة وتجاعيدها . وهل ينجح الجميع ودائماً في التخمينات والنظريات ! لسنا نعتقد .

بعد هذه الاعتبارات الاولية نحن نميل إلى القبول برأي فان دين برندن وترجمته وشروحه . مقابلة الكتابة مع الابجدية القرطاجية زادتنا يقيناً .

ولاحظنا أن برنردو راموس أخطأ في تفسير وتقييم بعض الحروف. ربما الدافع إلى ذلك عدم اطّلاعه على تطوّر الابجديات الفينيقية ، على مدى العصور . ولهذا السبب كان يحاول — كما ذكر مراراً — أن يفك الرموز الفينيقية من خلال الاحرف العبرانية . هذا الاسلوب ، إن ساعده أحياناً فقد أوقعه في الخطأ أحياناً أخرى ، حسبما ذكرنا عن ترجمته للّوحات الفينيقية في مجاهل الامازون .

ثم ، وان افترضنا ان الترجمة التي قدّمها برنردو راموس صحيحة ، فلا بدّ من تصحيح خطأ تاريخي ورد في دراسته .

ذكر ان ايتبعال كان ملكاً على صور منذ عام ٨٨٧ إلى عام ٨٥٦ قبل المسيح ، وباديزور منذ عام ٨٥٥ — ٨٥٣ . أما أكثر المؤرخين اليوم فيجمعون على رأي مخالف لهذا . نثبت الآن رسماً لحكم ملوك صور في الجيل التاسع ، تسهيلاً للمقابلة فالتصحيح . (لوحة ٤٧)

ملوك صور في الجيل التاسع ق. م.

إيتبعال

(٨٩١ — ٨٥٩)

↓

باديزور

(٨٥٩ — ٨٥٣)

↓

ماتّان

(٨٥٣ — ٨٢١)

↓

اليســـار (٨٢١ — ٨١٤) ↓ (تأسيس قرطاجة)

بيغماليون (٨٢١ — ٧٧٤)

لوحة ٤٧

أما نظرية تزوير النص التي يتذرّع بها البعض — مراراً عدة بدون أي بحث وتنقيب — فنحن نرفضها رفضاً باتاً في هذا الموضوع .

الصخرة موجودة حتى الآن وهي كبيرة جداً ولم تزحزح من مكانها منذ أجيال . الكتابة قديمة العهد ، كما لاحظ بعض علماء الآثار ، في الجيل الماضي وهذا الجيل أيضاً . إن صعب على العلماء أحياناً معرفة أصل الكتابة وترجمتها ، فلا يصعب عليهم أن يميّزوا اذا كانت النقوش على الصخرة قديمة أو حديثة .

ولسنا نعتقد أنه في أوائل الجيل الماضي أو أواخر الجيل السابع عشر وجد في البرازيل من يعرف أن يزوّر نصاً فينيقياً من هذا النوع .

ومن الارجح أن هذه الكتابة ، نظراً لموقعها العالي والقريب إلى البحر ، شوهدت قبل الجيل السابع عشر ،عندما لم تكن بعد فُكّت رموز فينيقية . شاهدها الناس بأم العين — كما شاهدناها نحن شخصياً — لكن أنّى لهم معرفة أصلها وترجمتها وقيمتها التاريخية .

ثم إن تقرير اللجنة المكلّفة من اكاديمية التاريخ والجغرافيا لدرس الكتابة سنة ١٨٣٩ يوحي بالثقة والصدق والتجرّد في حكم الأشخاص المكلفين.هؤلاء أقرّوا بعدم معرفتهم أصل الكتابة وترجمتها ،لكنهم لم يشكّوا أبداً بقدمها .

خلاصة الكلام أننا لا نشك بأصالة كتابة غافيا وأصلهـا الفينيقي .

كما اننا نميل إلى تبنّي رأي الدكتور فان دين برندن بأن كاتب هذا النص هو أحد فينيقي قرطاجة . ومن الارجح أنه كتب ما بين الجيل الثاني قبل المسيح والجيل الاول بعده . وهو يُثبت لنا وصول الفينيقيين إلى البرازيل .

رابعاً) صخرة باراييبا

١) لمحة تاريخية

في الجهة الشمالية الشرقية من البرازيل ، في « بوزو التو » (Pouso Alto) ، من أعمال ولاية باراييبا ، اكتشف، سنة ١٨٧٢، بعض العمال لوحة صخرية من أربع قطع ، حفرت عليها كتابة غريبة . ولما علم بذلك يواكيم الفيس دي كوستا (J. Alves de Costa) ابن صاحب العقار الذي عثر فيه على اللوحة المذكورة ، رسم صورة واضحة للحروف المكتوبة ،وارسل منها نسخة إلى اكاديمية التاريخ والجغرافيا في الريو دي جانيرو .

ثم وصل نص الكتابة ليد رئيس المتحف الوطني في الريو ، الدكتور « لاديسلاو نيتّو » (Ladislaò Netto) الذي أعلن أن كتابة

بارايبا فينيقية لا غش فيها . وترجمها ترجمة تقريبيّة . كما أنه طلب مساعدة اختصاصيين آخرين في اللغات الساميّة .

لكنه لم يلاق تشجيعاً من العلماء الذين أطلعهم على الوثيقة، لأنهم نظروا اليها باحتقار معتبرينها مزيّفة ببراعة ودهاء .

فبدل أن يواجهوا الواقع ، كما هو ، بتجرد تام ، انطلقوا من حكم سابق ، اعتباطي : لم يكن بإمكان الفينيقيين أن يعبروا المحيط الاطلسي بمراكبهم الصغيرة إلى اميركا الجنوبية .

أما الصخرة التي نقشت عليها الكتابة فقد فقدت. وكل المحاولات والمساعي التي بذلها لاديسلاو نيتّو لاسترجاعها باءت بالفشل. ومنذ سنة ١٨٧٤ فقد كل أثر لصاحب العقار ، الفس دي كوستا نفسه .

٢) ترجمة لاديسلاو نيتّو

وكتب «نيتو» رسالة باللغة الفرنسية إلى ارنست رينان (E. Renan) الذي كان يشاطره رأيه بأن الكتابة هي فينيقية الاصل ، عارضاً عليه ترجمته الخاصة، ذاكراً انها ترجمة تقريبيّة ناقصة، ومعترفاً بالحاجة إلى عالم أكثر تعمقاً منه باللغة الفينيقية، ليحلّل ويتفهّم جميع رموز النص المذكور .

وزعم البعض أن هذه الرسالة فقدت ومعها فقدت ترجمة « نيتّو » والنص الذي نقله . لكن هذا الزعم غير صحيح . ولهذا نثبت الآن بعض ما جاء في الرسالة عن صخرة بارايبا نقلاً عن كتاب « برنردو راموس » المذكور ، المجلد الثاني ، صفحة ٢٩ . وهو بدوره استقى هذه المعلومات من مجلة اكاديمية التاريخ والجغرافيا البرازيلية .

(Revista do Instituto Historico e Geografico Brasileiro, 1887 Vol. 50)

« Ce monument de pierre a été dressé par des Cananéens Sidoniens qui, pour aller fonder des comptoirs en pays éloigné, montagneux et aride, sous la protection des dieux et des déesses, se sont mis en voyage dans la dix-neuvième année du règne d'Hiram, notre puissant roi. Ils partirent d'Asiongaber, dans la mer des joncs (la

mer rouge), après avoir embarqué les colons sur dix navires et ils naviguèrent ensemble le long de la côte d'Afrique pendant deux ans. Ils furent ensuite séparés du commandant de la flotte et entraînés loins de leurs compagnons. Ils sont arrivés ici douze hommes et trois femmes sur cette côte inconnue, dont moi, le malheureux Métu-Astarté (serviteur de la puissante Astarté) ai pris possession. Que les dieux et les déesses me soient en aide ».

ونترجم هذا النص إلى اللغة العربية على النحو الآتي :

« هذا البناء الحجري أقامه كنعانيون صيدونيون ، الذين ، لكي يؤسّسوا وكالات تجارية في بلاد بعيدة ، جبلية وجافة ، في حماية الآلهة والآلهات ، سافروا في السنة التاسعة عشرة لملك حيرام ملكنا القدير . ذهبوا من عصيون جابر ، في بحر الخيزران (البحر الاحمر) وبعد أن ركب المستعمرون في عشر سفن وأبحروا معاً قرب الشاطيء الافريقي ، طوال سنتين ، انفصلوا بعد ذلك عن قائد الاسطول ودُفعوا بعيداً عن رفاقهم. وصلوا إلى هنا اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء، على هذا الشاطيء المجهول الذي استوليت عليه انا التعيس ماتو — عشتروت (خادم عشتروت القوية) . عسى ان الآلهة والآلهات تكون لي عوناً .

٣) رأي الدكتور غوردن

كما ان لاديسلاو نيتّو كتب رسالة أخرى إلى الاميركي « ويلبرفورس ايمس » (W. Eames) — وكان هذا من اعلام البيبليوغرافيا المعروفين ورئيس مكتبة نيويورك الجديدة — ضمّنها نسخة واضحة عن كتابة بارايبا مع ترجمتها . لكنها في ذلك الوقت لم تسترع انتباه العلماء واهتمامهم .

وفي شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٦٧ عثر الدكتور « جولز بيكاس » (J. Piccus) من جامعة ماساتشوستش على كتاب قديم في سوق خيرية أقيمت في بروفيدنس برودايلاند وابتاعه بربع دولار . وكان هذا الكتاب يخص ويلبرفورس ايمس المذكور . ووجدت بين

صفحاته الرسالة القديمة التي وجّهها اليه ، سنة ١٨٧٤ ، رئيس متحف الريو .

فأرسل الدكتور بيكاس صورة ضوئية عن كتابة باراييبا إلى صديقه الدكتور سيروس غوردن، استاذ دراسات البحر المتوسط في جامعة براندس في ماتشوستتش الذي ، بعد اطلاعه على النص المذكور عرف قيمته اللغوية والتاريخية. وبعد أن عمل كثيراً في تحليله وشرحه وترجمته أعلن أنه فينيقي لا غش فيه ، وأصلي غير مزوّر . وأضاف : ما من عالم من أعضاء اكاديمية سنة ١٨٧٠ كان قادراً على التلفيق — تعمّداً — لمثل هذه التعابير ، لسبب بسيط وهو أن هذه التركيبات والاصطلاحات اللغوية لم تكن معروفة لدى العلماء ، في ذلك الحين .

ويقول غوردن أيضاً في دراسة تحليلية دقيقة نشرت في مجلة «اورينتالا» : ان المغالطات اللغوية التي أثارت الشكوك حول النص تؤيّد، في الواقع ، أصالته . فما من مزوّر ملمّ كفاية باللغات الساميّة بحيث يقدر أن يؤلّف مثل هذه الوثيقة ويرتكب ، في الوقت عينه ، مثل هذه الأخطاء الظاهرة .

والآن ، وقد انقضى ما يقارب القرن على اكتشاف صخرة باراييبا ، يتّضح لنا أن النص صحيح وأصلي ، لأن الكتابات الفينيقية والاكريتية وغيرها من الكتابات الساميّة المكتشفة ، تجابهنا بهذه الأخطاء نفسها .

لا بدّ لنا هنا من تقديم صورة ضوئية لهذه الكتابة ، ننقلها عن المجلد الثاني من كتاب برنردو راموس المذكور ، صفحة ٢٨ . ونقلها هو بدوره عن الرسالة الموجّهة إلى « رينان » وليس إلى « ايمس ». لكننا قابلنا الرسمين فوجدنا المطابقة في جميع الحروف ، بدون زيادة ولا نقصان (لوحة ٤٨) .

ويترجم الدكتور غو ردن الكتابة الفينيقية على النحو الآتي :

« نحن أبناء كنعان من صيدون ، مدينة الملك . هي التجارة أوصلتنا إلى هذا الساحل البعيد ، أرض الجبال . ولقد قدّمنا فتى ذبيحة للآلهة والآلهات ، في السنة التاسعة عشرة لحيرام ملكنا المعظّم .

أقلعنا من عصيون جابر (ايلات حاليا) في البحر الاحمر بقافلة

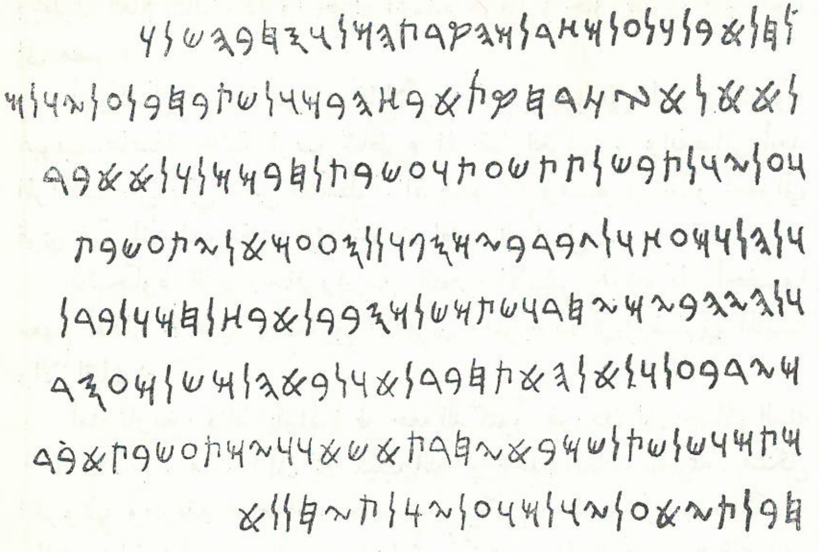

لوحة ٤٨ كتابة باراييبا

من عشرة مراكب . كنا معاً في البحر سنتين كاملتين حول أرض حام (افريقيا) . لكن عاصفة من يد بعل فرّقتنا ، ولذلك انفصلنا عن مرافقينا . وهكذا جئنا إلى هنا ، ونحن اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء ، إلى ساحل جديد أشرف عليه أنا الاميرال . ونرجو من الآلهة أن يوفّروا لنا النعم » .

ويفترض أن هذه هي احدى الرحلات التي تكلّم عنها هيرودوتس المؤرخ اليوناني ، في القرن الخامس ق . م . وهو من عُرف بتدوين الحوادث الغريبة والطريفة ببراعة وأسلوب جذّاب .

يقول هيرودوتس : « وهكذا أبحر الفينيقيون من البحر الاحمر إلى البحر الجنوبي . وعندما يحل الخريف كانوا يستقرّون في أي مكان من ليبيا (افريقيا) يصلون اليه ، فيحرثون الأرض وينتظرون موسم الحصاد . وعندما يجمعون الحبوب يستأنفون الابحار . وبعد انقضاء عامين

وبحلول العام الثالث داروا حول أعمدة هرقل (جبل طارق) وجاءوا إلى مصر » .

ثم يكمّل غوردن دراسته قائلاً : « كم يسهل على المرء أن يتصوّر هبوب عاصفة عاتية قرب شاطىء افريقيا الغربي ، وانفصال أحد المراكب عن باقي سفن الاسطول اذ يبدو أنه وقـع في تيّار استوائي قوي غيّر اتّجاهه وقاده غرباً نحو شواطىء البرازيل ...

فالبحّارة الذين سافروا من البحر الابيض المتوسّط أحضروا معهم أفكار الاهرام والتماثيل الأخرى الموجودة في حضارتي المايـا والازاتيك .

أما تاريخ كتابة باراييبا فيرجعه الدكتور غوردن إلى حوالي السنة ٦٠٠ ق . م ، مستنداً إلى التركيب اللغوي وعلم اللغات القديمة . فشكل الحروف وطريقة استعمال الكلمات وتركيب الجملة في هذه الكتابة يطابق ما اكتشف من كتابات فينيقية دُوّنت حوالي السنة ٦٠٠ ق . م .

اننا نثبت هنا خريطة للعالم مشيرين فيها إلى سفر كريستوف كولمبس من اسبانيا وإلى سفر الفينيقيين من عصيون جابر ومرورهم على الشاطيء الافريقي إلى أن يبلغوا اميركا الجنوبية ،حسب رأي الدكتور غوردن (لوحة . ٤٩) .

وكان لدراسة الدكتور غوردن صدى عالمي . فكتب الكثيرون عن هذا الاكتشاف العظيم ، البعض يحبّذون آراءه والبعض الآخر ينتقدون ولا يقرّون بإمكانية وصول الفينيقيين إلى القارة الأميركية .

من بين منتقدي تفكيره وتفسيره نذكر البروفسور فرانك م . كروس ، من جامعة هارفارد الذي يؤيد نظرية التزوير التي أوحى بها بعض علماء الجيل الماضي ، ويقول عن نص الكتابة :« انه خليط بعيد الاحتمال من المصطلحات والتركيبات اللغوية » .

وكذلك أيضاً « غوردن ف . أكهولم »،عالم الآثار في المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي انتقد الكتابة بهذا الكلام : انما تقول ما يريد أن يقول إنسان يودّ الاعتقاد بأن الفينيقيين عبروا الأطلسي .

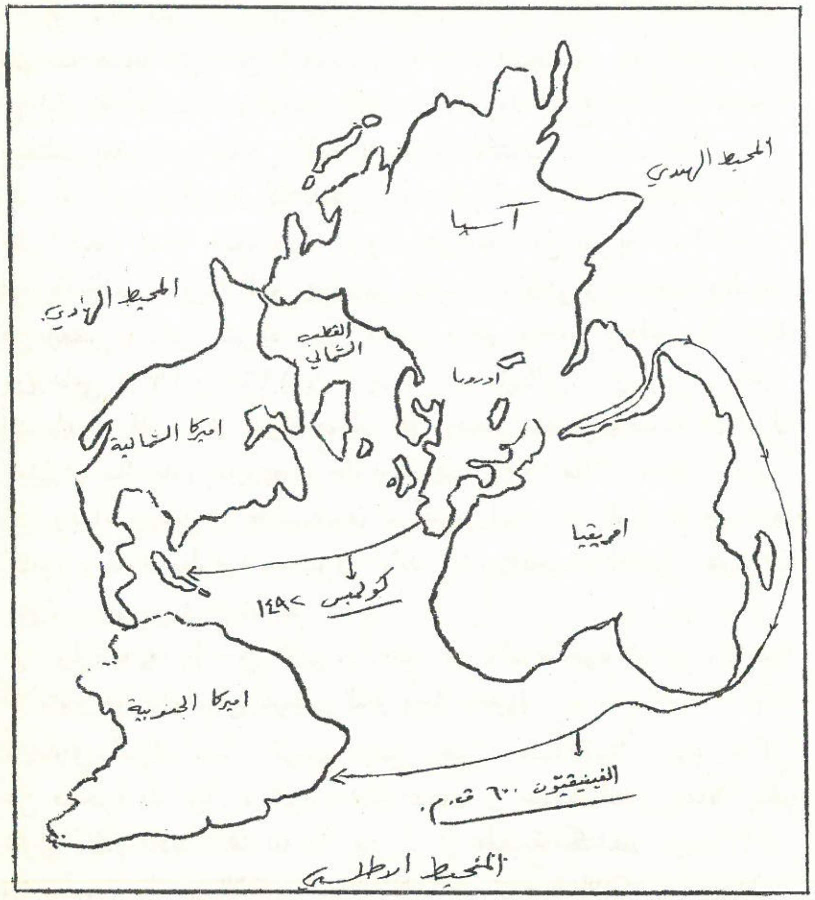

لوحة ٤٩

خريطة العالم مع الطريق التي تبعها كولمبس والفينيقيون الى أميركا .

وعالم الآثار اللبناني روجيه صيدح يعتقد أن موقف الدكتورغوردن من صخرة باراييبا هو مجرد وهم : « اذ يحتمل أن تكون الاشارات التي وجدت على حجر باراييبا فعل الرياح والامطار والسنين.وفي رأيي أن الفينيقيين لم يصلوا إلى اميركا أبداً » . هذا ما ذكر في مجلة « المجال » العدد الثامن .

ورد الدكتور غوردن على منتقديه قائلاً : إن منطقة البحر المتوسّط شهدت خليطاً كبيراً من الشعوب واللغات واللهجات . وإن الحروف ، في أية لغة كانت ، وخاصة الخطوط اليدوية، تتنوع كثيراً في نماذجها ويختلف بعضها عن البعض الآخر باختلاف الكتّاب .

أما الذين يرفضون الاعتقاد بوصول الفينيقيين إلى القارّة الاميركية ، نظراً لبعد المسافة ،فيجيبهم بما روى هيرودوتوس عن بعثات الفينيقيين الطويلة الامد ، وبان السير فرنسيس تشيستر ، وهو في الخامسة والستين من العمر ، أبحر بمفرده ، في قارب صغير وحقق رحلة حول العالم بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ . كما ان هيوغو فايكلين الذي أبحر من الدار البيضاء في قارب لا يزيد حجمه على حجم مغطس الحمّام ، ونزل بأمان في ميناء فلوريدا ، بعد رحلة استغرقت ٤٧٠٠ ميلاً .

وبذات الفعل ، فالفينيقيون ، أسياد البحار في العالم القديم ، ما كانوا يرضون بالوقوف مكتوفي الايدي أمام المحيط الاطلسي ،دون أن يحاولوا الخوض في أبعاده .

ولم تنته بعد ، حتى الان ، التعليقات حول صخرة باراييبا وترجمة الدكتور غوردن للنص الفينيقي الذي نُقش عليها .

وفي لبنان أيضاً ذكرت بعض الجرائد شيئاً قليلاً وبإيجاز كلي عن صخرة باراييبا . ونشرت مجلة المجال في عددها الثامن مقالاً بقلم ماري كادو الادار عنوانه : « من هو في الحقيقة مكتشف اميركا ؟ » . وخصّصت القسم الاكبر منه للكلام عن ترجمة الدكتور غوردن .

٤) مقال الدكتور فان دين برندن

إن أهم ما نُشر في لبنان حول هذا الموضوع هو مقال للدكتور الاب فان دين برندن ، في مجلة « MELTO » (ملتو) الصادرة عن جامعة الروح القدس ، في العدد الثاني ، عام ١٩٦٨ (صفحة ٥٥ — ٧٣) . بعد ان اطّلع الكاتب على مقال نشره « دوغلاس ماتاوس »

(Douglas Mattheus) في مجلة (Life) الأميركية ، بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٦٨ عن ترجمة الدكتور غوردن لكتابة باراييبا وما سبقها من دراسات حول الموضوع نفسه ، درس هو من جديد وحلّل وترجم النص المذكور وشرح محتواه التاريخي والديني .

لا بدّ لنا أن نتوقّف عند هذه الدراسة العميقة لنتفهّم واقعاً تاريخياً هاماً كشفت أسراره صخرة باراييبا .

شرح فان دين برندن ، في مقدّمة قصيرة ، كيف وصلت الوثيقة التاريخية ليد الدكتور غوردن . ثم تكلّم عن أصالتها وتاريخها قائلاً : إن الدكتور غوردن يؤكّد صحة الكتابة لأن النص ، عملياً ، هو كامل وبالامكان ترجمته ،بدون صعوبة من قبل الكلمات أو القواعد اللغوية ، وبدون حاجة إلى تخمينات وتقديرات حول بعض الحروف . ويستنتج من ذلك أنه ليس من المحتمل كثيراً أنّ أحد المزوّرين قدر ، في تلك الايام ، أن يؤلّف نصّاً مشابهاً .

فان دين برندن يتّفق واياه بخصوص اصالة النص وصحته لكنّه يختلف عنه في بعض الأفكار والاتجاهات . بينما أن العالم الاميركي يفكّر أن الوثيقة هي فينيقية كتبت بلهجة صيدونية ،فالعالم البلجيكي يعتقد أنها كتبت بأحرف فينيقية لكن بلهجة خاصة يظهر من خلالها تأثير عبراني بعيد .

ويجد في هذا الواقع برهاناً آخر عن أصالة الكتابة وعدم تزويرها . فمن من علماء ١٨٧٤ وما بعد كان يعرف احدى تلك اللهجات الخاصة لاحدى قرى أو مناطق فينيقيا ! كما أن المضمون التاريخي يشرح ،بنوع طبيعي جداً ومنطقي ، استعمال هذه اللهجة .

ثم إن الدكتور غوردن يُرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى الجيل السادس ق . م . في تعيين هذا الزمن يستند على التركيب اللغوي وعلى علم اللغات والخطوط القديمة .

في هذا الأمر يختلف العالمان أيضاً . يقول فان دين براندن : يصعب جداً إثبات تاريخ صحيح ودقيق بالاستناد إلى التركيب اللغوي

لنص يعتبره مكتوباً بلغة صيدا الفينيقية بينما هو غير ذلك . ثم إن التركيب «الغراماطيقي» لهذا النص يمكن أن يُشبّه بكتابة «ميشا» الموآبيّة ، في اوائل الجيل التاسع .

والبرهان الكلاسيكي الملخّص بإتقان قراءة الحفريات الكتابية يجب استعماله بفطنة كبرى . وخاصة نحن أمام نسخة لا امام النص الاصلي ولا حتّى أمام النسخة الاولى التي نقلها يواكيم داكوستا . ولذلك لا يعتقد بقوة هـذا البرهان . ولإثبات رأيـه يستشهد بكتابات

(Atlas du Corpus Inscriptionum Semiticarum I, tome I)

ذاكراً أن الكتابات الاولى ، القديمة جداً المنسوخة فيه تبدو للعلماء أنفسهم أنها الأخيرة في العهد والتاريخ .

يمكن ، اذن ، أن هذه النسخة قبلت بعض التحويرات. ولذلك ليس بالامكان تعيين تاريخها بدقة . لكن المقابلة اللغوية والكتابية بين النصوص الصيدونيّة القديمة الموجودة حالياً، التي هي من أواخر الجيل السادس واوائل الخامس ق . م (أي تبنيت واشمون عازار) وبين الوثيقة التي نتكلم عنها ، تدل ، مع كل التحفظات الممكنة ، ان كتابة باراييبا هي أقدم جداً من أبجدية تبنيت واشمون عازار . من بين الحروف المختلفة التي نميّزها في الكتابة المذكورة، وعددها واحد وعشرون ،يوجد خمسة، لا غير (ك ، ق ، ل، س ، ت) كتبت بشكل مألوف في الجيل السادس . أما الحروف الباقية فموجودة في كتابات من الجيلين العاشر والتاسع ق . م .

وعندما نفكّر أن بحّاراً كتب النص المذكور ، ومن عادته أن يكتب « حساباته » على ورق الرق أو على مادة أخرى خفيفة وبطريقة سريعة ، وبذات الفعل ، أكثر تطوّراً مما يمكن حفره على صخرة ، فيستنتج : من الارجح بل شبه أكيد ان كتابة باراييبا هي قديمة جداً .

ويبرهن على قدمها أيضاً مضمونها اللغوي وفحواها التاريخي .

يقول كاتب الوثيقة عن نفسه ورفاقه إنهم كنعانيون من صيدون (أي صيدا اليوم) مدينة الملك (سطرا) والملك اسمه حيرام ، ملك قوي (سطر ٣) . هذا الكلام يشير إلى كونهم فينيقيين من صيدا .

لكنّ تأكيدهم هذا يسبّب صعوبة هامة وهي أنهم لم يكتبوا باللغة الفينيقية المعروفة في صيدا ،بل كتبوا بالأحرف الفينيقية كلمات في تركيبها وقواعدها توحي بلهجة خاصة شبيهة جداً باللغة العبرانية والموآبية.

أمـــا شرح فان دين برنـــدن لهذه الصعوبة فهو كما يلي : إن استعمال الكلمة « قرت » = مدينة (سطرا) يدل ان المدينة صيدا هي مدينة سكناهم . لكنها لا تعني بذات الفعل انها المدينة التي فيها ولدوا وترعرعوا . وهذا ما نعرفه نحن اللبنانيين أكثر من غيرنا، من وضعنا الحالي . فكم من الذين ينزلون من قراهم الجبليّة ويستوطنون المدن الساحلية الكبرى (بيروت ، طرابلس ، صيدا ...) لكنهم في ظروف خاصة يرجعون إلى قراهم ، كما في الانتخابات النيابية أو الصيف وليدفنوا موتاهم . ويحافظون دائماً على لهجتهم الخاصة .

من الارجح انّ البحّارة المذكورين كانوا من جنوب فينيقيا ، قرب الحدود الفلسطينيّة ،فكُتبت الوثيقة بلهجة فينيقية خاصة، تأثّرت كثيراً باللغة العبرانية ، لغة الجيران .

ثم يشبّه كاتب المقال وضعهم الخاص بوضع سكان هولندا . فالذين يقطنون الجهة الشرقية من البلاد، قرب الحدود الالمانية ،يتكلّمون لهجة قريبة جداً للغة الجيران .

كما ان حدود فينيقيا الجنوبية ما كانت ثابتة على حالها بل قابلة للزيادة والنقصان . ذُكر في الكتاب المقدس ، في سفر الملوك الثالث : « بما ان حيرام ملك صور كان قد أمدّ سليمان بخشب أرز وسرو وبذهب على حسب كل مرضاته أن الملك سليمان أعطى لحيرام عشرين مدينة في أرض الجليل. فخرج حيرام من صور لينظر إلى المدن التي أعطاها

له سليمان فلم تحسن في عينيه فقال ما هذه المدن التي أعطيتني يا أخي وسمّاها أرض كابول إلى اليوم » (٩ : ١١ — ١٣) . اذن ، هذه المدن (القرى) التي كانت لدولة سليمان أصبحت فينيقية .

وبعد ذلك أيضاً ، في اوائل الجيل الخامس ، أضاف اشمون عازار ، ملك صيدا ، إلى حدود بلاده مدينتي دور ويافا اللتين تركهما له ملك الفرس (Cf. Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars I, 3) .

كانت المدينة الكبرى ولا تزال ، في كل البلدان ، تجتذب اليها سكان القرى ، الشباب منهم خاصة . هؤلاء الفينيقيون الجنوبيون سكنوا في المدينة الكبرى ، الغنية ، صيدون واشتغلوا بالتجارة البحرية وأصبحوا بحارة صيدونيين .

لم تكن هذه ، المرة الاولى التي يعمل فيها اناس غرباء عن صيدا وصور على سفن صيدونية أوصورية . من سفر القضاة نطّلع على ان بعض أفراد سبط دان الذين لم تكن حدودهم بعيدة جداً عن صور كانوا يعملون على سفن فينيقية : « ودان لماذا يعيش على سفن غريبة ؟ » (قضاة ٥ : ١٧) . هذا حدث في القسم الثاني من الجيل الثاني عشر ق . م .

ثم يتعمّق فان دين برندن بدراسة لغوية وغراماطيقية يوضح فيها أن طريقة استعمال كلمات عدة مثل فعل « كان » وغيره لا تطابق ما عُرف حتى الآن عن الكتابة الفينيقية . فهي تقترب إلى القواعد العبرانية لكنها لا تمتزج بها .

النتيجة الأخيرة التي وصل اليها هي أن هؤلاء البحارة الفينيقيين تكلّموا لهجة خاصة توحي أنهم من جنوب فينيقيا . ذكرت الوثيقة انهم صيدونيون لأنهم سكنوا صيدا وسافروا بسفن صيدونية .

المحتوى التاريخي

ذكر أيضاً أن السفينة أبحرت من غصيون جابر . إنه مرفأ على الشاطىء من خليج العقبة . في الجيل الخامس كان يحمل اسم ايلات .

هيّأه الملك سليمان ، بمعاونة الفينيقيين لأسطوله الجديد ، بعد أن انتصر على الأدوميين واستولى عليه .

ومن هناك ذهبت البعثات التجاريةالمشهورة إلى أوفير لجلب الذهب ومواد أخرى نادرة الوجود على ساحل المتوسط. وكانت تحت اشراف اليهود والفينيقيين معاً. هؤلاء خاصة، كمعلّمين ومدرّبين، كان عليهم أن يعلّموا اليهود فن الملاحة وربما أيضاً فنّ التجارة .

يؤكد فان دين برندن أنها زالت قبل الجيل السادس . نعرف من سفر الملوك الثالث أن الملك يوشافاط (٨٧١ — ٨٤٦) « عمل سفن ترشيش لتذهب إلى أوفير لجلب الذهب ولكنها لم تذهب لأن السفن انكسرت في عصيون جابر » (٣ ملوك ٢٢ : ٤٥) . فعرض عليه احزيا (٨٥٣ — ٨٥٢) بن آحاب ، ملك اسرائيل أن يحاول ارسال بعثة اخرى بالاتفاق معه هو ، هذه المرة ، لكن يوشافاط رفض ذلك (٣ ملوك ٢٢ : ٥٠) . اذن لم يعد يوجد أي تدخل للفينيقيين في هذا الموضوع .

وفي عهد الملك يورام (٨٤٨ — ٨٤١) خسر اليهود عصيون جابر لكن الملك (احزيا) ٧٨١ — ٧٤٠) استرجعه ، كما يظهر من سفر الملوك الثالث (٨ : ٢٠ — ٢١) .

ومن جديد خسروا هذا المرفأ في أيام الملك آحاذ (٧٣٧ — ٧١٦) حسبما ذكر في سفر الملوك الرابع : « في ذلك الزمان استردّ رصين ملك ارام أيلة للأدوميين وطرد اليهود من أيلة وجاء الادوميّون إلى أيلة وأقاموا هناك إلى هذا اليوم » (١٦ : ٦) أي، إلى أواسط الجيل السادس.

وهذا الجيل كان من اسوأ ما عرف اليهود والفينيقيون معاً. فيه تم فتح نبوكد نصر البابلي وخراب هيكل اورشليم. نعرف الكثير عن شقاء تلك المنطقة ودمارها من نبوءة أشعيا (الفصل ٤٠ إلى ٥٥) .

صور وصيدا أيضاً وقعتا بين يدي الفاتح البابلي .

بلاد فينيقيا ومملكتا اسرائيل ويهوذا وجدت في حالة لا تسمح بتوسيع التجارة البحرية بل بالعكس تماماً أي بتحويلها إلى أدنى حد ممكن.

لسنا نعرف الكثير تاريخياً ، عن الفينيقيين في الجيل السادس . وسبب ذلك هو تلك الحالة المأساوية التي غرقت فيها المنطقة .

ويجد فان دين برندن برهاناً آخر لدعم رأيه في هذا الموضوع وهو أن تلك البعثات التجارية كان لها هدف أساسي وهو البحث عن الذهب ، وأشياء اخرى ثمينة . فهم البعض بكلمة ذهب نوعاً من البخور العطري .

(Cf. G. Ryckmans, dans Revue Biblique, 58 (1951) pp. 372-376 et Jeal. XIV (1955 — 6 p. 81).

الرحلات البحرية البعيدة ، الخطرة ، لم تعد ضرورية في الجيل السادس لأن العرب في تلك الأيام كانوا يوصلون تلك الواردات والسلع بواسطة قوافلهم إلى ايلات والبحر المتوسط .

(Voir J. Ryckmans, «Zuidarabische Kolonizatie », dans JEOL, no. 15, 1957 - 1958, pp. 239 ss.)

نظراً لكل هذه الظروف والعوامل لم يكن ممكناً في الجيل السادس ق . م . اعداد بعثة فينيقية أو يهودية — فينيقية لتقوم بسفرة تجارية طويلة من عصيون جابر .

هذه الرحلة التي تكلّم عنها قائد السفينة يجب أن تكون قبل الجيل السادس عشر . فذكر الملك القدير حيرام ، والذهاب من عصيون جابر ،ووجود فينيقيين يتكلمون لهجة قريبة جداً إلى اللغة العبرانية، كل ذلك يشير إلى ضرورة توجيه تفكيرنا إلى الملك الفينيقي العظيم حيرام ، حاكم صور وصيدا معاً وإلى صديقه سليمان الحكيم اللذين أعدّا أساطيل فينيقية ويهودية مشتركة أبحرت معاً من عصيون جابر ، المرفأ اليهودي ، كما يذكر سفر الملوك الثالث (٨ : ٢٦ — ٢٨) .

ونفهم بسهولة أنه عندما يطلب سليمان بحارة من الملك حيرام كي يقودوا اسطوله فمن الطبيعي أن يرسل حيرام من يعرفون اللغة العبرانية .

السفينة التي وصلت إلى الشاطىء البرازيلي كان ركابها بكاملهم فينيقيين . هذا يجعلنا نفترض أنها أبحرت في مقدمة الاسطول ،وان السفن الاخرى كانت وراءها . فالى أين وصلت تلك ؟ هل هي أيضاً وصلت

إلى البرازيل ، إلى ولاية الامازون حيث يوجد آثار فينيقية كثيرة ، تكلّمنا عنها سابقاً ؟ ليس لدينا أي برهان .

ويقول النص التاريخي : على تلك السفينة اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء . وكل البعثة كانت من عشر سفن . هذا ما يجعلنا نفكر أنها تألّفت من حوالي مئة وخمسين مسافراً .

هدف البعثة

لا بدّ ان نتساءل ما هو هدف هذه البعثة الفينيقية — اليهودية ؟ النص المذكور يقول إن غايتها كانت تجارية والكتاب المقدس في سفر الملوك الثالث (٩:٢٨) يذكر : طلباً لذهب أوفير .

أما أين توجد أوفير ؟ فهذا موضوع جدال طويل تكلّمنا عنه سابقاً . وفان دين برندن لا يحبّذ رأي ريكمنس (G. Ryckmans) القائل إن كلمة أوفير استعملت لتشير ،بنوع عام ،إلى مناطق مختلفة على طول الشاطىء العربي أو الافريقي بل إلى الناحية الغربية من الشاطىء الافريقي .

عرفنا ان سفن الاسطول بقيت معاً طوال سنتين . في هذه الأثناء هبّت عاصفة قوية وقذفت احداها — على الاقل — إلى الشاطىء البرازيلي .

لكن في أي مكان تم الفراق أو الانفصال عن باقي السفن ؟ الكتابة لا تقول شيئاً . من المفترض أن الاسطول كان قطع البحر الاحمر منذ مدة طويلة . فبعد سنتين من الملاحة ، مع اعتبار المرحلة التي يقضونها على السواحل ، منذ الخريف حتى الحصاد ، لا بدّ أن يكون وصل إلى مكان ما من الشاطىء الغربي لافريقيا . وان العاصفة دفعت السفينة في المحيط الاطلسي .

وبعد أن سكنت العاصفة ، اذا بتلك السفينة المنفصلة عن رفيقاتها ، وبدون علم أين هي بالتدقيق ، اتجهت نحو الغرب ،وهي الوجهة التي كانت تأخذها المراكب دائماً لكي يحطّ البحارة رحالهم على الشاطىء الافريقي . لكن هذه المرة كان الساحل البرازيلي من نصيبهم . ولا بدّ

أن تكون المسافة طويلة جداً لأنهم يتكلّمون عن « شاطىء بعيد » .

أما الدكتور غوردن فيعتقد ، حسبما ذكر في مجلة (Life) ، أن هدف البعثة كان أن تدور حول افريقيا وتدخل إلى فينيقيا ، في نهاية الرحلة ، من جبل طارق والبحر المتوسط .

لكن هذه الفكرة ليست مقبولة ولا معقولة ، حسب رأي فان دين برندن . يظهر من كتابات هيرودوتوس المؤرخ ان الفكرة الاولى لصنع دورة حول افريقيا أتت من قبل الفرعون « ناشو الثاني » (٦٠٩ –٥٩٣) ق. م. الذي طلب من الفينيقيين القيام بهذه المأثرة .

يمكن اذن تفهّم هذا النص انطلاقاً من افتراض بعثة تجارية يهودية – فينيقية تمت في أيام الملك سليمان وحيرام الكبير ملك صور وصيدا معاً . والغاية منها ان يجلبوا إلى البلدين المتجاورين العطور أو الذهب ومواد أخرى كثيرة الثمن ونادرة الوجود . وذلك من منطقة بعيدة ، على الساحل الجنوبي من افريقيا ، لا من شاطىء العرب أو الساحل الافريقي القريب ، على البحر الأحمر .

الأفكار الدينية

ان اله هؤلاء الفينيقيين كان « بعال » او « بعل » وهي التسمية العامة للإله الارفع مقاماً وشأناً في أي مدينة أو منطقة .

في هذا الظرف ، من المرجّح أن يكون الاله الخاص الذي يستشفعونه هو «حداد» ، إله العاصفة والبحار. وقدّم له الإكرام والعبادة بعض آل اسرائيل أيضاً . سليمان نفسه كان من المتعبّدين له (الملوك الثالث ١١ : ٤ و ٣٣) ونعرف أنه بعد ذلك بنى الملك آحاب هيكلاً على اسمه (الملوك الثالث ١٨ : ٢٠) .

قد استغاثوا بالآلهة والآلهات ، دون ذكر الاسماء . لكن الكاتب استعمل تعبيراً غريباً نوعاً ما للدلالة على هذه الآلهة : « عليون ، اليونت » . إنها لهجة خاصة ، بلا شك ، لأن فينيقيّاً من صيدون كان كتب كلمتي : « النم ، النت » .

اسم رئيسهم ، كاتب النص هو « ماتاشترت » أي رجل عشترت . هذه هي الهة صيدون ، الهة الخصب . وحظيت هي أيضاً باكرام سليمان وتعبّده لها .

(Cf. CIS., 3,15,18 Tabnit 2)

وعندما وصلوا إلى الساحل البرازيلي قدّموا ذبيحة بخور لآلهتهم . فبينما ترجم غوردن كلمة « بحر » الفينيقية بكلمة « شاب » العربية واستنتج أن البحّارة قدّموا لآلهتهم ذبيحة بشريّة ، يعتقد الدكتور فان دين برندن انه من الأصح اعطاءها معنى « ذبيحة بخور » . نظراً لعددهم القليل ولأنهم كانوا يقدّمون ولداً فتياً جداً ذبيحة للآلهة . في هذا الظرف بالذات يجب أن تنفى فكرة ذبيحة بشرية .

النص الاصلي وترجمته

ان الدكتور فان دين برندن فك رموز النص الأصلي ، بأسطره الثمانية على النحو الآتي :

١ – نحنا بن كنعن مصدن مهقرت هملك وسحر هشلك
٢) نا ال ايز رحقت أرص هرم ونشت بحر لعليونم
٣) وعليونت بشنت تشعة وعشرة لحرم ملكنا ابر
٤) ونهلك معصون جبربيم صفون نسع عم أنيت عشرة
٥) ونهيه بيم يحدو شتم شنب سبب لارس لحم ونبدل
٦) ميد بعل ولانه (هي) ات حبرنا هلم سم عسر
٧) متم وشلشت نشم باي (ر) ح (ق) تاس انكي متعشترت ابر
٨) حبليتا عليونم وعليونت يحننا . »

أما الترجمة الفرنسية فهذه هي كما وردت في مقال العالم البلجيكي ، صفحة ٦٥ .

1. Nous (sommes) des fils de Canaan, de Sidon, la ville du roi. Et commence nous a jeté.

2. sur ce rivage lointain, une région des montagnes. Et nous avons offert un sacrifice d'encens aux dieux
3. et aux déesses, en l'an dix-neuf de Hiram, notre roi puissant.
4. Et nous sommes venus d'Ecyon-Geber, dans la Mer Sereine. Nous étions partis avec dix bateaux,
5. et nous étions en mer ensemble (durant) deux ans autour de la terre de Ham, et nous fûmes séparés
6. par la main de Ba'al, et nous n'étions plus avec nos camarades. Et nous sommes venus ici douze
7. hommes et trois femmes sur (ce) rivage lointain, dont moi Mat'aštart, le chef,
8. ai pris possession. Que les dieux et les déesses nous soient propices.

وهذا تعريبنا للنص المذكور :

١) نحن أبناء كنعان من صيدون مدينة الملك . والتجارة رمتنا

٢) على هذا الشاطىء البعيد ، أرض الجبال . وقدّمنا ذبيحة بخور للآلهة

٣) والآلهات في السنة التاسعة عشرة لحيرام ، ملكنا القدير .

٤) واتينا من عصيون جابر ، على البحر الهادىء . ذهبنا بعشرة سفن .

٥ وكنا في البحر معاً سنتين حول أرض حام ثم انفصلنا

٦) بيد بعلٍ ، فافترقنا عن رفاقنا وأتينا إلى هنا اثنا عشر

٧) رجلاً وثلاث نساء ، على هذا الساحل البعيد ، الذي ، انا متعشترت ، الرئيس ،

٨) استوليت عليه . نأمل أن تؤيّدنا الآلهة والآلهات .

اننا نفضّل هنا أن نُثبت الشروح التي وضعها فان دين برندن كما وردت تماماً ، باللغة الفرنسية ، لأن المؤلف كتب بهذه اللغة الغرامطيق الفينيقي ،ولأن المراجع التي يستند اليها ، هي أيضاً باللغات الاوروبية . وهذه الشروح ، مع اعراب الكلمات وتصريفها ، إذا ترجمت إلى اللغة العربية تفقد الكثير من قيمتها ويصعب فهمها .

COMMENTAIRE.

V. 1 : *nḥn, naḥna'* (?), « nous » nous semble être une forme dialectale. En phénicien on écrit *'nḥn,* cf. *Gramm.,* nº 142, tandis que l'hébreu classique a les deux formes *'nḥnw* et *nḥnw.* cf. Gesenius-Kautzsch, *Hebräische Grammatik,* éd. Leipzig, 1878, p. 84, § 32, 2. Notre forme est assez proche de celle de l'araméen biblique : *'nḥn',* cf. L. Kautzsch, *Grammatik des Biblisch-Armäischen,* Leipzig, 1884, p. 41, mais comme on le verra, une influence araméenne semble bien exclue.

— *bn kn'n,* « fils de Canaan ». Dans la Bible, la Phénicie est indiquée par le nom *kn'n,* cf. Is. 23, 11. Dans Soph. 1, 11, l'expression *'m kn'n,* « peuple de Canaan » a pris le sens de « peuple de marchands ». Les Phéniciens s'appelèrent eux-mêmes des « Canaanéens », nom qu'ils ont maintenu même quand ils se sont établis ailleurs. Ainsi, selon St Augustin, les Phéniciens de Carthage se disaient encore être des Canaanéens. Cf. Harden, D.M., *The Phoenicians,* Londres, 1962, p. 22.

— *mṣdn,* « de Sidon ». Le *m* est la préposition *mn,* cf. *Gramm.,* nº 303 (a). Dans la Bible, Jos. 11, 8; 19, 28, cette ville est appelée « Sidon la Grande ». Voir Eiselen, I.C., *Sidon. A Study in Oriental History* (Columbia Univ. Or. Studies, IV), New-York, 1907. Cette ville est souvent mentionnée dans les inscriptions, cf. *CIS,* 3, 16, Bostan ech-Cheikh 3, etc. Elle était divisée en plusieurs quartiers dont on connaît : *'rṣ ym,* « terre de la mer » (l'île), *šmm rmm,* « hauts cieux » et *'ṣ ršfm,* « terre de flammes », *RES,* 287, cf. *Gramm.,* nº 117 bis.

— *mhqrt hmlk,* « de la ville du roi ». La structure est un peu curieuse, on s'attendrait plutôt à *mqrt hmlk, miqqiryat hammilk,* donc avec syncope de l'article *h,* et cela non seulement à cause de la préposition inclitique, mais aussi du fait qu'on a ici un état construit. Cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.,* p. 90, § 35, Anm. 2; § 120, 1; § 110, 2 et pour le phénicien, *Gramm.,* nº 181. Mais dans Jér. 25, 26 on trouve aussi *kl hmmlkt h'rṣ,* « tous les royaumes de la terre » et sur la stèle de Meša 11-12 : *w'hrg 't kl h'm hqrt,* « et j'ai tué toute la population de la ville ».

Cette spécification nous apprend que nos Phéniciens sont des habitants de la ville de Sidon proprement dite. Le nom du roi n'est pas mentionné, mais on le citera plus loin, au v. 3.

— *wsḥr,* « et commerce », cf. Is. 23, 3, 18. On rencontre ce mot également en phénicien avec le sens de « marchand » *(sôḥêr),* cf.

RES, 1229, 2 et fém. *RES*, 768. Pour la manière de faire du commerce voir C. Autran, *Phéniciens, essai de contribution à l'histoire antique de la Méditerranée*, Paris, 1920, p. 2.

— *hšlkn'*, « et nous a jetés », 3e p. s. parf. *hiph.* avec suff. 1re p. pl. du verbe *šlk*. En phénicien la préformante de la forme causative est *y* et non *h* comme c'est le cas ici, cf. *Gramm.*, n° 205. Le suff. *n'* correspond tout à fait à la terminaison du pron. indép. 1re p. pl. *nḥn'* comme *nw*, le suffixe 1re p. pl. en hébreu, correspond à la terminaison du pronom indép. 1re p. pl. Il en est de même en araméen : *'nḥn'* - *n'*, forme donc qui s'accorde avec notre suff. Mais il ne peut y être question d'une influence araméenne étant donné qu'au verset 8 on a *'* comme suffixe de la 3e p. sing. fém. qu'on ne peut attribuer à une influence araméenne. Il s'agit donc ici de caractéristiques dialectales.

V. 2 : *'l*, « sur ». Voir aussi le verbe *šlk* avec cette préposition dans Ex. 15, 25.

— *'y z rḥqt*, « ce rivage lointain ». La structure est insolite. On s'attendrait plutôt à *'y rḥqt z*, l'adjectif suit directement le nom; cf. Brockelmann, *Hebräische Syntax*, 1956, p. 57 § 58. Pour le phénicien cf. *Gramm.*, n° 122 a. Voir p. ex. en hébr. *hdwr hr' hz'*, « cette génération perverse », Dt. 1, 35; en ph. *'lnm hqdšm 'l*, « ces dieux saints », *CIS, 3, 22; 'šr qdš 'z*, « ce lieu saint », Pyrgi 1; cf. notre article « Quelques remarques concernant l'inscription phénicienne de Pyrgi», dans *Melto*, IV (1968), p. 96. Le *z* est ici le pronom démonstr. fém. comme en phén.; cf. *Gramm.*, n° 163, 1, alors qu'en hébreu la forme est *z't* quoiqu'on trouve aussi, mais rarement, les formes *zh* et *zw;* cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 88, § 34. Voir aussi en moabite, *hbmt z't*, « ce sanctuaire », Meša, 3.

— *'rṣ hrm*, « région de montagnes » — « région montagneuse », cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 240, § 106 et pour le phénicien, *Gramm.*, n° 120, 2. Pour *'rṣ* au sens de « région », cf. Kar. I, 9; *CIS*, 1, 10; 3, 19.

— *wnšt*, « et nous avons offert », litt. « nous avons posé », 1re p. pl. impf. *qal* ou *hiph.* du verbe *šyt*. Pour cette dernière forme cf. Larnax, II, 7 et *Gramm.*, n° 260. Le *w* est ici le *w* consécutif à l'imparfait; cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 110, § 49, 2, fréquemment employé dans cette inscription; cf. *wnhlk* (v. 4), *wnhyh* (v. 5), *wnb'* (v. 6). On en trouve également un usage fréquent dans l'inscription sur la stèle de Moab. En phénicien l'emploi du *w* consécutif est rare. On n'en trouve que quelques exemples au parfait; cf. *Gramm.*, n° 294, 4.

— *bḥr*. Le Dr. Gordon traduit ce mot par « youth ». On rencontre, en effet, ce mot au sens de « jeune homme » en araméen (Yastrow et le pl. *bḥrym* en hébr. au sens de « jeunesse, temps de jeunesse » dans Nomb. 11, 28. Si *bḥr* a réellement cette signification, il s'ensuivrait que nos Phéniciens auraient offert un sacrifice humain. Mais comme nous l'avons déjà dit plus haut, on comprend difficilement qu'ils se soient décidés à un pareil sacrifice vu le nombre restreint de survivants : 12 hommes et 3 femmes. Nous soupçonnons donc que *bḥr* doit avoir une autre signification. Puisqu'il s'agit d'un bateau de commerce, il est probable que l'encens faisait partie de leur chargement. Or justement, en arabe le mot بَخُور signifie « encens » et on connaît en accadien *baḫru* au sens de « cuvette à encens » (Bezold). Nous préférons donc traduire *wnšt bḥr* par « et nous avons offert un sacrifice d'encens ».

— *'lywn w'lywnt*, « dieux et déesses », litt. le mot *'lywn* signifie « le plus haut », donc ici « les êtres supérieurs ». Cette manière de désigner les dieux et les déesses n'est pas biblique non plus quoiqu'en araméen talmudique on se sert du mot *'lywnym* pour indiquer « les créatures célestes, les anges » (Yastrow).

Le mot *'lywnm* rappelle le dieu *'lywn* comme le mot *'lm* rappelle celui de *'l ('lhm)*. 'Elyôn était une vieille divinité canaanéenne cité dans Nombr. 24, 16; Dt. 32, 8; Is. 14, 14 et surtout Gen. 14, 18 ss. où l'on dit que Melchisédech, roi de Shalem, était prêtre d'Elyôn. Voir E. Dhorme, *L'évolution religieuse d'Israël.* I, *La religion des Hébreux nomades,* Bruxelles, 193, pp. 340 ss. Au 8e siècle avant notre ère, il était encore vénéré à Sfiré (près d'Alep); cf. A. Dupont-Sommer, *Les inscriptions araméennes à Sfiré* (Stèles I et II), Paris, 1958, p. 34. Il est donc probable que nous soyons ici en présence d'un très vieux terme pour indiquer les divinités, terme qui a dû disparaître avec la disparition du dieu Elyôn pour faire place au terme *'lm, 'lnm.*

— *bšnt tšt w'šrt*, « en l'année dix-neuf ». La structure s'explique difficilement. En hébreu comme en phénicien, on écrirait le nombre en forme masculine. Il semble bien que le dialecte dans lequel est tracé notre inscription dmande des formes féminines avec des noms féminins (voir aussi les versets 4, 5 et 7) et des formes masculines avec des noms masculins (voir versets 6-7). Le mot *šnt* correspond à la forme ugaritique.

— *lḥrm mlkn' 'br.* « de Hiram, notre roi puissant ». Pour le *l* dans les datations cf. *Gramm.*, n° 119, 1. Comme on l'a vu plus haut, Hiram qui porte ici l'épithète « puissant », semble bien être le

fameux Hiram qui a construit le temple de Jérusalem à la demande de Salomon. L'épithète ne s'explique pas autrement. C'est sous ce Hiram que le royaume de Tyr-Sidon était à son apogée et que sa flotte marchande avait déjà atteint les côtes de l'Espagne; cf. W.F. Albright, *L'archéologie de la Palestine*, Paris, 1955, pp. 134-135 et M. Cary-E.H. Warmington, *The Ancient Explorers*, Pelican Books, 1963, p. 28. *mlkn'*, « notre roi », *n'* suff. poss. 1re p. pl. cf. v. 1 ce même suff. au verbe. *'br* correspond à l'hébreu *'abbir*, « puissant ». Le phén. se sert de préférence du mot *'dr,*; cf. Ma'ṣ. 6 et Kil. I, 5.

— *wnhlk*, « et nous sommes venus », 1re p. pl. impf. *piel* du verbe *hlk*, forme régulière; cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 154, 8. Pour le phénicien cf. *Gramm.*, n° 229-230. Voir aussi en moabite *w'hlk*, « et je suis allé », Meša, 14-15.

— *'ṣwn gbr*, « Eṣyôn-Geber » (= Tell el Khaleifeh), port sur le rivage septentrional du Golfe d'Aqaba. A partir du 5e siècle ce port porte le nom d'Elath. Ezyôn-Geber n'était pas seulement connu pour son port, mais aussi pour ses fameuses installations de fonte de cuivre découvertes par l'Expédition des American Schools of Oriental Research et du Smithsonian Institut, installation fouillées par Nelson Gluck; cf. Albright, *op. cit.*, p. 140.

— *ym ṣfwn*. Par ce nom est désigné sans aucun doute le Golfe d'Aqaba. Quelle en est la signification ? On serait tenté de prendre le nom *ṣfwn* au sens hébreu et phénicien « nord » et donc traduire « mer du nord ». Mais on ne voit pas très bien comment les Phéniciens ou les Juifs aient pu donner un pareil nom à une mer qui se trouve au sud de leur pays. D'après Exode 10,19 la Mer Rouge était désignée par le nom « Yam Sūf ». Notre *ym ṣfwn* en est donc bien distincte. Il est probable que le nom *ym swf* est d'origine égyptienne, nom donc donné par les Egyptiens à cette mer et qui signifie « Mer des joncs », en égyptien *ṯwfj* (cf. Albright, W.F., *The Vocalisation of the Egyptian Syllabic Orthography*, 1934, p. 65), ainsi, il n'est pas exclu que le nom *ym ṣfwn* ait été donné à cette mer par les Arabes riverains et ce nom signifierait alors « Mer sereine, limpide », en arabe , « serein, limpide ».

— *ns'*, *nissa'*, « nous sommes partis », 1re p. pl. impf. *qal* du verbe *ns'*. Pour le phénicien cf. *Gramm.*, n° 211.

'm, « avec ». Cette préposition s'emploie toujours avec des mots qui expriment un travail en commun (Koehler).

— *'nyt 'šrt*, « dix bateaux ». Nous avons déjà dit que nous sommes ici en présence d'une structure dialectale qui s'écarte de la structure générale des langues sémitiques. L'hébreu comme le phé-

nicien donnerait plutôt la forme *'nyt 'šr;* cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 224, § 97 et pour le phén., *Gramm.*, n° 134.

V. 5: *wnhyh*, « et nous étions », 1re p. pl. impf. avec *w* consécutif, du verbe *hyh*. Ce verbe au sens « être » est employé en hébreu comme en moabite, mais le phénicin se sert du verbe *kwn*.

— *yḥdw*, « ensemble », forme hébraïque; cf. *aḥdh* en ugaritique.

— *štm šnm*, « deux ans »; cf. Brockelmann, *op. cit.*, p. 75, § 83, 6. La forme fém. du nombre deux *štm* n'est pas en usage en phénicien; cf. *Gramm.*, n° 124 ad 2; *šnm*, pl. de *šnt* (hébr. *šnh)* comme en hébreu et en ugaritique. Le phénicien se sert du mot *št*, « année » et a pour pluriel *šnt;* cf. Friedrich, *Gramm.*, n° 240, 14.

— *sbb*, « autour »; cf. Ex. 16, 13.

— *'rṣ lḥm*, « terre de Ham ». Il s'agit ici de l'Afrique et probablement de cette partie qui s'étend à partir de Somaliland jusqu'à la pointe sud de l'Afrique. Dans les Psaumes 98, 51; 105, 23, 27 et 106, 22 ce terme *ḥm* indique l'Egypte. Mais d'après la Table des Nations de Gen. 10, le pays de Ham semble se rapporter aussi bien à la côte africaine qu'au rivage arabe. Hérodote désigne l'Afrique par le terme Lybia; cf. Cary-Warmington, *op. cit.*, p. 111. Pour le *l* d'appartenance cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 257 et *Gramm.*, n° 119, 1.

— *wnbdl, wannibbādēl*, « et nous fûmes séparés », 1re p. pl. impf. *niphal* avec *w* consécutif du verbe *bdl*.

V. 6: *myd*, « par la main de ». On s'attendrait plutôt à *byd;* cf. Nombr. 10, 13 et en phén. *bd;* cf. *Gramm.*, 305 c.

— *b'l*, « Ba'al », le dieu. Le nom signifie « seigneur » et pouvait être appliqué à des différents dieux. Ainsi celui de Sidon s'appelle Ba'al Sidon, Ba'al Šemêm, celui de Tyr s'appelle Melqart, etc. Mais il s'agit ici sans doute du dieu de la tempête, Hadad, qui déjà très tôt se trouvait à la tête du panthéon canaanéen; cf. W.F. Albright, *Archaeology and the Religion of Israel*, Baltimore, 1946, p. 73.

— *wl'*, « et ne... pas », négation qu'on rencontre en hébreu; cf. Gesenius-Kautzsch, *op cit.*, p. 320, § 152, mais qui est inconnue en phénicien; cf. *Gramm.*, n° 302, 4.

— *nh[hy]*, restitutions d'après le verset 5.

— *'t*, « avec », préposition.

— *ḥbrn'*, « nos compagnons ». Pour *n'*, pron. poss. 1re p. pl., voir v. 3.

— *wnb'*, « et nous sommes venus », 1re p. pl. impfr. *qal* ou *hiph*. avec *w* consécutif du verbe *bw'*.

— *hlm, halōm,* « ici »; cf. Ex. 3, 5 et arabe هلمّ .En phénicien on en a une transcription latine dans Poenulus: *alum, alem;* cf. *DISO* ad *hlm*.

— *šnm 'šr mtm,* « douze hommes ». Pour cette structure voir Dt. 1, 23, mais elle est rare en hébreu; cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 225, § 97. Pour *mt*, « homme », voir aussi l'ugaritique *mt* et l'accadéen *mutu*. Ce mot rentre aussi comme élément composant dans les noms propres; cf. verset 7. On remarque encore ici que le *s* protosémitique est rendu ici par *s* alors qu'il est rendu par *š* aux versets 3 et 4. On connaît ce procédé également en phénicien; cf. *Gramm.*, n° 4.

V. 7: *šlšt nšm,* « trois femmes »; cf. Gen. 7, 13, même structure, mais rare en hébreu comme nous venons de le dire pour *šnmn 'šr mtm* ci-dessus. *nšm* est le pl. hébr. de *'šh*. Le phénicien ne connaît que le pluriel *'št;* cf. Arslan Tash 18, mais en hébreu on trouve aussi une fois cette forme dans Ezéchiel 23, 44.

— [*r*]*ḥ*[*q*[*()t*, restitution d'après le verset 2.

— *'nky,* « moi », pronom personnel indépendant 1re p. sing., forme habituelle en hébreu, rare en phén. qui se sert habituellement de la forme *'nk;* cf. *Gramm.*, n° *142-143.*

— *mt'*[*t*]*rt*, « Mat'aštart », n. pr. signifiant « homme d'Aštart ». La correction nous semble s'imposer. Voir les mêmes compositions: *mtb'l,* Hofra 259; *mtrm,* Hofra 249 et le même nom *mt'štrt* dans *CIS,* 83, 2.

— *'br, 'abbīr,* « chef »; cf. I Sam. 21, 8.

V. 8: *ḥblty'*, « je l'ai pris en possession », 1re p. sing. parf. *qal* avec suff. 3e p. sing fém. En hébreu le verbe *ḥbl* signifie « prendre en gage », mais le contexte demande ici le sens de « prendre en possession ». Le' est le pronom suff. au verbe et se rapporte à *'y,* « île », « rivage », nom féminin d'après le verset 2. La forme hébraïque étant *hā,* il s'agit sans doute ici d'une forme dialectale. Cette forme est bien connue en punique mais on ne pourrait songer à une éventuelle influence punique; cf. *Gramm.*, 154. Pour la structure de la phrase avec pronom de renvoi cf. Brockelmann, *op. cit.*, p. 144, n° 148, structure rare en phénicien; cf. *Gramm,* n° 175-176.

— *'lywnm w'lywnt,* cf. versets 2-3.

— y*ḥnn'*, « qu'ils nous soient propices », 3e p. pl. impf. *qal* avec suff. 1re p. pl. du verbe *ḥnn.* Voir en phénicien *wtḥn'*, « et elle l'a gratifié », cf. *CIS,* 196, 5 et *ḥnn,* « ils les ont gratifiés », cf. *BiOR,*

XXIII (1966), p. 14. Pour la phrase optative en hébr. exprimée par le simple imparfait cf. Gesenius-Kautzsch, *op. cit.*, p. 283 et en phén. *Gramm.*, n° 321.

ABREVIATIONS

Bezold = M. Bezold, *Babylonisch-Assyrisches Glossar*, Heidelberg, 1926.
BiOR = *Bibliotheca Orientalis.*
CIS = *Corpus Inscriptionum Semiticarum,* Pars I.
DISO = Ch. F. Jean - J. Hoftijzer, *Dictionnaire des inscriptions de L'Ouest,* Leiden, 1965.
Dt. = livre biblique du *Deutéronome.*
Ex. = livre biblique de l'*Exode.*
Gramm. = A. van den Branden, *Grammaire phénicienne*, Beyrouth, 1968.
Gen. = livre biblique de la *Genèse.*
hiph. = hiphil.
impf. = imparfait.
Is. = livre biblique d'*Isaïe.*
Yastrow = M. Yastrow, *A Dictionary of the Targumin, the Talmud Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature,* 2 vol., New-York, 1950.
JEOL = *Jaabericht Ex Oriente Lux.*
Jos. = livre biblique de *Josué.*
Koehler = L.Koehler-W. Baumgartner, *Lexicon in Veteris Testamenti Libros,* Leiden, 1953.
Nomb. = livre biblique de *Nombres.*
p. = personne.
phén. = phénicien.
pl. = pluriel.
RES = *Répertoire d'Epigraphie sémitique.*
Rev. Bibl. = *Revue Biblique.*
Sam. = livre biblique de *Samuel.*
Soph. = livre biblique de *Sophonie.*
suff. = suffixe.
v. = verset.
ZDPV = *Zeitschrift des deutschen Palästina-Vereins.*

٥) ملاحظات اخيرة

هكذا نعتبر أن كتابة باراييبا هي أهم ما أوردنا ، حتى الآن ، من كتابات ، نظراً لكمالها وكبرها ، والموضوع التاريخي الذي تحدّثنا عنه ، والأسماء الواردة فيها ، وعن سبب وصول البحّارة إلى ذلك المكان البعيد .

ثم إن وجوه الشبه كثيرة جداً بين ترجمات العلماء الثلاثة المذكورين. ترجمة لاديسلاو نيتّو هي تقريبية ، كما ذكر في رسالته إلى ارنست رينان . اما بين العالم الاميركي والعالم البلجيكي فالاختلاف في الترجمة هو على نقطتين ، على كلمتين لا غير . وفي الباقي يتّفقان تماماً .

بينما ترجم الدكتور غوردن : « قدّمنا فتى ذبيحة للآلهة والآلهات » كتب فان دين برندن : « قدّمنا ذبيحة بخور ... » الاختلاف ، اذن ، كان على معنى كلمة « بحر » ، هل تعني فتى أو بخوراً في هذه الحالة .

أما الكلمة الثانية فهي اسم رئيس البعثة ، « متعشترت » الذي ذكره فان دين برندن ولم يأت في كتابة العالم الاميركي .

لا بدّ اذن من العودة إلى لاديسلاو نيتّو الذي كتب عن صخرة باراييبا منذ حوالي المئة سنة . ذكر اسم ميتوعشترته أي متعشترت . وترجم الكلمة : رجل عشتروت العظيمة .

وعلمنا أن فان دين برندن لم يكن يعرف شيئاً عن ترجمة لاديسلاو نيتّو . وذكرنا سابقاً أن الاعتقاد السائد هو أن هذه الترجمة لم تعد موجودة ، لكننا عثرنا عليها في « كتابات وتقاليد اميركا ما قبل التاريخ وخاصة البرازيل » مع رسم واضح للكتابة .

نعتقد مع العلماء الثلاثة ومع رينان وغيرهم كثيرين أن كتابة باراييبا هي فينيقية لا غش فيها. ربما هي أهم كتابة فينيقية عثُر عليها حتى الآن ، في البرازيل وفي اميركا كلها .

كما اننا نميل لتأييد ترجمة فان دين برندن والمحتوى التاريخي والديني الذي ترمز إليه والشروح اللغوية التي قدّمها .

أما نظرية التزوير فنرفضها كليّاً ونتبنّى آراء غوردن وفان دين برندن ، في هذا الموضوع ، وخاصة هذا البرهان الاكيد أن علماء ١٨٧٤ في البرازيل وفي أي مكان آخر من العالم ما كانوا قادرين أن يزوّروا نصاً مثل هذا ، لأن حروفاً كثيرة واصطلاحات شتّى لم تكن اكتُشفت بعد ولا عُرفت هذه اللهجة الفينيقية التي دُوّنت فيها الكتابة .

وما سمّوه مغالطات لغوية اثارت الشكوك حول النص ليست سوى برهان واضح عن وجود لهجة خاصة تأثّرت جداً بلغة الجيران ، العبرانيين والموآبيين . وهي تبيّن أصالة النص الفينيقي وصحته .

وقد أثبتنا النص الأصلي للكتابة الفينيقية نقلاً عن برنردو راموس في كتابه المذكور آنفاً . وهذا الكاتب كان يعتقد انها يونانية قديمة . ولذلك فبإمكاننا أن نتأكد من عدم تزويره لها . والاّ لزوّرها بنوع يُثبت رأيه ، لا يناقضه. فإن أخطأ في معرفة أصل الكتابة وترجمتها ، لكن أمانته العلمية لا غبار عليها .

أما الرأي الذي استرعى انتباهنا لغرابته فهو رأي الاستاذ روجيه صيدح ، كما ذُكر في مجلة المجال ، العدد الثامن ، ويُلخّص على النحو الآتي : يُحتمل أن تكون الاشارات التي وُجدت على صخرة باراييبا من فعل الرياح والامطار والسنين . وفي رأيي أن الفينيقيين لم يصلوا إلى أميركا أبداً » .

لكنّنا نلخّص رأينا أيضاً بأن هذه الفكرة شبيهة جداً بكلام من يقول : هبّت عاصفة فحرّكت حروف الهجاء وكوّنت منها تآليف شكسبير الخالدة .

ثم ان الظروف التاريخية التي عاشها الشعب الفينيقي مع جيرانه ونخص منها اتّفاق حيرام ملك صور وصيدا مع سليمان الحكيم على القيام ببعثات تجارية مشتركة تؤيد رأي فان دين برندن واونفروادي تورون بأن وصول الفينيقيين إلى البرازيل كان في عهد حيرام ، أي بين عام ٩٦٩ — ٩٣٥ ق . م . والسنة التاسعة عشرة لحكم حيرام تكون : ٩٥٠ ق . م .

اعمال الفينيقيين في البرازيل

من عالم الوقائع والحقائق المثبتة بكتابات منقوشة على صخور، عجزت الأيام عن محو خطوطها، ننتقل إلى عالم التخمينات والترجيحات، بالاستناد إلى بعض الآثار أيضاً، لمعرفة الأعمال والمشاريع الهامة التي حققها الفينيقيون في القارة الاميركية، وخاصة في البرازيل.

ربما لم يوجد بين المؤرخين وعلماء الآثار من أفاض في هذا المجال أكثر من المؤرّخ النمساوي البروفسور لودوفيكو شونهاغن. نشر مقالات في المجلات والجرائد البرازيلية، وألقى محاضرات عدة، وأصدر كتاباً عنوانه: «تاريخ البرازيل القديم» فيه تكلّم عن الفينيقيين وأعمالهم.

ما قدرنا أن نحظى بهذا الكتاب. لكن اطّلعنا على بعض المقالات للمؤلف نفسه نشرت في مجلة الشرق، الصادرة في مدينة سان باولو، في عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩. فإلى هـذه المعلومات خاصة نستند في درس الموضوع المذكور.

١) مستعمرات في آسيا واوروبا وافريقيا

يقول المؤرخ النمساوي إن مستعمرات الفينيقيين في اسيا واوروبا وافريقيا بلغت أربع مئة تقريباً وظلت هكذا إلى حوالي عام ١٥٠٠

قبل المسيح، عندما اجتمعت قبائل اوروبا الجنوبية المؤلفة من الدوروس والفوسيوس والاشيوس وغزت البلقان. وعرفت بعدئذ باسم القبيلة اليونانية العامة. وطالت الحرب بين اليونانيين والفينيقيين أجيالاً وأسفرت عن سقوط طروادة وشواطىء آسيا الصغرى بيد اليونانيين. فخسر الفينيقيّون في هذه الحروب حوالي ثلاث مئةمستعمرة، ولم يبق لهم سوى مئة تقريباً في شمال افريقيا واسبانيا. ولذلك استعدّوا للقيام باستكشاف جديد لاستعاضة ما فقدوا.

خربت طروادة الفينيقية سنة ١١٥٠ — ١١٧٠ ق. م. وربح اليونانيون الفاتحون بلداناً عديدة منها ملاتو وافيزو وزولوفون، فنزح السكان إلى ايبيريا في اسبانيا التي ظلّت تحت الحكم الفينيقي.

ثم استعمر الفينيقيون، بمساعدة النازحين إلى ايبيريا، جنوبي البورتغال كطنجة (تنجيس قديماً) وداكر وجزر الكناريا س (كارناري قديماً). وذلك بين ١١٥٠ — ١١٠٠ ق. م.

٢) الاكتشاف الاول

وتقدّموا على الشواطىء الافريقية إلى غينيه. وحملتهم الانواء إلى الغرب، كما حدث لمكتشف البرازيل بعد ذلك بأجيال، بدرو الفس كابرال. وظلت سفنهم عرضة للعواصف والأمواج طوال أيام عدة، حتى وصلوا إلى جزيرة كبيرة صالحة للملاحة، تكلّم عنها ديودورس الصيقلي.

ويعتقد لودوفيكو شونهاغن ان هذه الجزيرة الكبيرة المنوّه عنها ليست إلاّ البرازيل. اما تاريخ اكتشافها فهو حوالي سنة ١١٠٠ ق. م. أي ٢٦٠٠ سنة قبل أن يصل اليها البرتغالي كابرال.

يقول: إنهم وصلوا اولاً إلى الشواطيء الشرقية الشمالية من البرازيل. ثم يتتبع اثارهم من ولاية باهيا حتى مصب النهر الفضي (ريو دي لابلاتا) ذاكراً الكثير عن أعمالهم ومشاريعهم الضخمة.

وبعد وصولهم إلى الشاطىء البرازيلي أرادوا الولوج إلى المناطق الداخلية ، الجبلية ، حيث مناجم الذهب والحجارة الكريمة ، وحيث يسكن السكان الاصليون .

٣) قبائل التوبي وعلاقتها بالفينيقيين .

من المرجح أن السكان الاصليين لم يظهروا العداوة للأجانب القادمين من بعيد . وهذا لم يكن كافياً لنجاح مهمة الفينيقيين ، لأنهم كانوا بحاجة إلى عمال يساعدونهم في أشغالهم ، وجو هدوء وسلام ليطمئنوا معه إلى حياتهم ومصالحهم .

ولم يعش الفينيقيون طويلاً في حيرة وقلق ، بل وجدوا بسرعة الحل الانسب . وانه لشيء مذهل يحتاج إلى عبقرية عظمى وإقدام ونشاط وخيال .

في تلك الانحاء ، حيث اليوم بحر « الكراييب » (mar caraibico) وجدت ، منذ القدم ، جزيرة كبيرة اسمها « كراييبا » عاشت فيها ، وفي الجزر الصغيرة المجاورة ، قبائل « التوبي » السبع . وكانوا قد هاجروا قبلاً من جزر « انطيليس » (Antilhas) او « أطلنتدا » التي تكلم عنها أفلاطون وغيره ، والتي كانت ضحية هيجان الاوقيانوس ، كما ذكرنا سابقاً . واسم تلك القبائل ، في أول عهدها كان « كاريس » ، لكن كهنتهم أعطوهم اسم « توبيس » ، أي المتعبدين للإله « توبان » ، الشفيع الاكبر .

في جزر « الكراييب » ، كما في أطلنتدا سابقاً ، كان البحر يتقدّم باستمرار داخل الأرض ، ويسطو على مساحتها ، إلى أن زالت نهائياً ، غارقة في المياه . وقبيل ذلك ، عندما أحس السكان بالخطر ، غادر قسم منهم هذه الجزر في سفنهم الصغيرة إلى حيث هي اليوم فنزويلا . واسم عاصمتها « كراكاس » يتحدر من « كاريس » ، الاسم القديم للقبائل التي نزحت اليها من جزر « كراييبا » .

ولاحظ الفينيقيون الجزر وهي تذوب وسط هيجان الاوقيانوس ، فقرّروا نقل قبائل « التوبيس » في سفنهم إلى شمال البرازيل .

وعندما وصل الكهنة المرسلون الاسبان إلى فنزويلا ، أخبرهم سكانها الاصليون عن تاريخ بلادهم قائلين : إن نصف سكان الجزر المهدّدة بالبحر غادروا وطنهم القديم ، في سفنهم الصغيرة ، واستوطنوا هذه البلاد (أي فنزويلا) ، لكن غرق الكثيرون منهم عندما هبّت عواصف قوية . أما النصف الاخر فنقلوا في سفن كبيرة إلى حيث وجدوا أرضاً جديدة وثابتة في الجنوب (أي البرازيل) .

ثم ان فرنهاغن (Varnhagen) ، في كتابه : التاريخ البرازيلي (Historia Brasileira) يؤكد أن هـذا التقليد الموروث حول هجرة شعب « الكـاريس — توبيس » (Caris-Tupis) من « كراييبا » ، ثابت وواضح عند سكان فنزويلا الاصليين .

كما ان الاب انطونيو فييرا (Antonio Vieira) يذكر في تآليفه أن بعض أفراد قبيلتي « التوبينمباس والتبجارس » (Tupinambas, Tabajaras) أخبروه أن قبائل « التوبيس » هاجروا إلى شمال البرازيل ، بحراً . وأتوا من بلاد لم تعد موجودة . وتم الانتقال بسفن شعب غريب .

لكن ، ما هو الهدف الذي قصده الفينيقيون من نقل هذه القبائل إلى البرازيل ؟

ذكرنا أن الفينيقيين الذين وصلوا إلى البرازيل شعروا بحاجة ملحّة إلى عمّال يساعدونهم في أشغالهم ، وإلى جنود يحافظون على ممتلكاتهم في بلاد ما عرفوا بعد الا القليل عنها . فوجدوا في هذه القبائل شعباً بكامله ، تتفق مصالحه مع مصالح فينيقيا ، ولا سيما أن هذا الشعب غير قادر على الرجوع إلى بلاده الاولى . فوطنه الأصلي غدا ضحية هيجـان الاوقيانوس ، ووطنه الجديد هو « أرض ميعاد » اختارها الاله « توبان » لعبّاده ، كما ردد الكهنة على مسامع الشعب .

ويظهر أن عرى الصداقة توثقت بين الفينيقيين وقبائل « التوبيس » .

وتكلّم التجار الفينيقيّون وكهنة « توبان » لغة ، يقول عنها شونهاغن ، انها انتشرت من آسيا الصغرى حتّى اميركا الوسطى وسمّاها البرازيليون القدماء « نهين هن كاتو » (Nhenhen-Catu) اي : السير الحسن .

وحسب اعتقاد العالم النمساوي ، فإن القبائل التي هاجرت إلى البرازيل في السفن الفينيقية لم ترسُ جميعها في مرفأ واحد، بل في عدة مرافىء.

بعضهم نزل في « برانيبا » (Paranaiba) أي بريبيـــا ، حسب الاسم المعروف اليوم ، في مرفـــأ « توتويا » ، (Tutoia) ، أكبر مدينة اسّسوها ، كما أخبرت قبائل التوبينمباس .

وقسم آخر نزل في ولاية « مارانيون »،وهي نقطة هامة جداً للتجارة . خمسة أنهر كبيرة تقطع هذه الولاية وتفتح طريقاً إلى قلب البلاد. والفينيقيون هم الذين أعطوها اسم مارانيون كما ذكر سابقاً .

ثم إن سفناً أخرى دخلت مرفأ مار مرقس ، المصب الشرقي لنهر الامازون،أي نهر بارا (Pará) المكوّن من اثني عشر نهراً من ولاية بارا .

أما القسم الأخير فنزل في مرفأ مار لويس حيث وضع الفينيقيون الأساسات والتخطيطات اللازمة للمدينة.وبنى السكان الجدد أحياء وقرى عدة، بقي منها ٢٧ يوم وصول الاوروبيين اليها .

وهكذا تكفّل الفينيقيّون بنقل سكان جزر « الكرايبيا » إلى أرض ثابتة وخصبة،شرط أن يقدّم لهم هؤلاء عمالاً للتنقيب عن مناجم الذهب والحجارة الكريمة ، وجنوداً،للمحافظة على مصالحهم ، يدعون توبيغاراني (Tupigarani) اي محارب من سلالة « التوبي » .

وليست هذه المرة الوحيدة التي يخبر فيها المؤرخون الأقدمون عن انتقال شعوب من منطقة إلى أخرى بواسطة سفن الفينيقيين . وهذه الوسيلة هي من أنجع الوسائل التي ساعدتهم على تقوية مستعمراتهم ونموها السريع .

وتمّت المعاهدة بين الفينيقيين وقبائل التوبي على أكمل وجه . وباع الفينيقيون ذهباً وحجارة كريمة اكتشفوها هناك من المصريّين

الذين كانوا يحتاجون إلى هذه الكنوز أكثر من أي شعب آخر،لأنهم آمنوا بالبعث وأرادوا أن يستعدّوا لدخول الحياة الجديدة بأحوال ممتازة. وعرف أطباؤهم وفنانوهم أن يحنّطوا الأجساد ويجمّلوا وجوه الموتى كي تبقى تقريباً على بهائها،بعد ألفي أو ثلاثة آلاف سنة ، كما حدث لتوت غنج آمون . ولذا فإن الملوك ورؤساء الكهنة والاشراف ، بل معظم سكان البلاد كانوا يجمعون،طوال حياتهم ، الذهب والحجارة الكريمة كي يظهروا يوم البعث بوجاهة تناسب بل تفوق مرتبتهم وهم أحياء يرزقون .

٤) مناجم الذهب والحجارة الكريمة

ومما ساعد الفينيقيين على سرعة التغلغل داخل البلاد الأنهار الكثيرة الصالحة للملاحة ، منها نهر بارانايبا ونهر الامازون . وشيّدوا في مدينة توتويا حصوناً وقلاعاً أشرفوا منها على مصب النهر . وبلغوا جبال اوريوس في داخلية البلاد حيث اكتشفوا مناجم الذهب والحجارة الكريمة . وتعاملوا مع سكان البلاد المسالمين، فتاجروا معهم بالمقايضة إذ قدّموا لهم بعض الاواني والادوات المعدنية والسلع التي لم يشاهدوا مثلها من قبل ، مقابل الذهب والحجارة الكريمة وبعض المواد اللازمة لتحنيط الموتى للمتاجرة بها في مصر .

كما إنهم أسّسوا هناك مدينة بوريتي دوس لوبيز . وأصل بوريتي من بيريت الفينيقية،أو بيروت اليوم. وأقاموا أقنية إصطناعية بين البحر والبر ، حُفر بعضها تحت الأرض . ويبلغ طولها أحياناً العشر كيلومترات .

وهناك آثار يستدل منها أن الفينيقيين استثمروا مناجم معدنية عدة . وكانوا يحفرون في الصخور بعض الاشارات والرموز ، هي اصطلاحات للإرشاد إلى أماكن المناجم وتعيين طرقها ومسافاتها . ولا يزال بعضها محفوظاً حتى يومنا .

وقدّم لودوفيكو شونهاغن رسوماً عديدة اثباتاً لرأيه هـــذا .

نكتفي بنقل اثنين منها ، عن العدد الثالث والثلاثين من مجلة الشرق (٣٠ ايلول ١٩٢٩) (لوحة ٥٠ – ٥١) .

وقال : ان الرسم الاول (لوحة ٥٠) هو خريطة طولها ١٢ متراً، وأحرفها بارزة،ونصفها مغطّى بصخرة شامخة . وهي تشير إلى المناجم التي استثمرها الفينيقيون في البرازيل . أما مركزها ففي وادي بوروجا

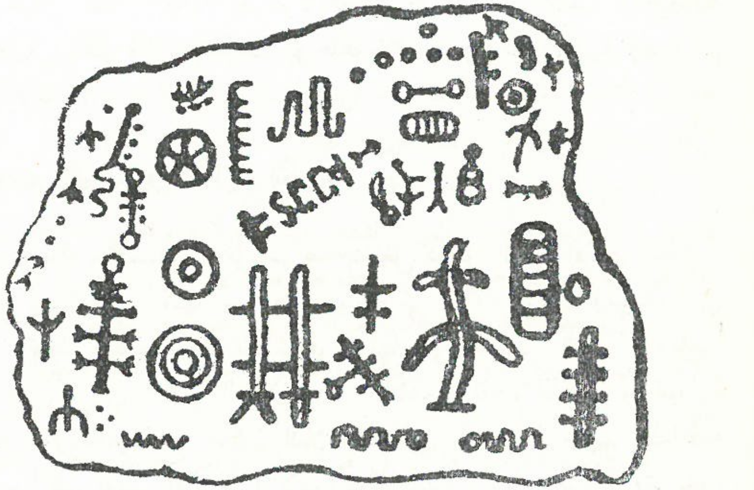

لوحة ٥٠

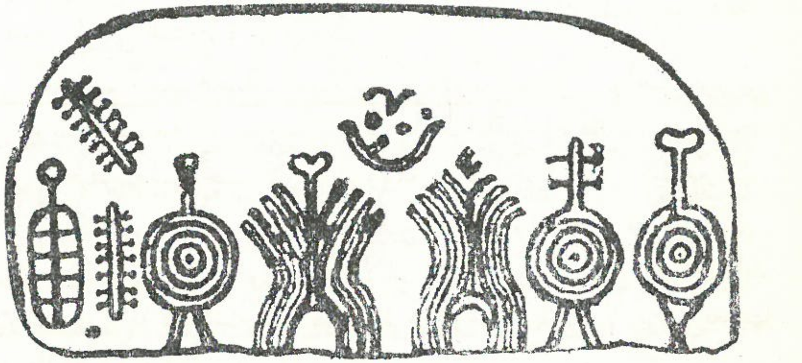

لوحة ٥١

رسوم تشير الى مناجم الذهب والحجارة الكريمة

المتصل بوادي بوربوراما ، بين تخوم ولاية برايبيا وولاية ريو غراندي دي نورتي .

والرسم الثاني (ص٥١) هو صورة فنية للخريطة المشيرة إلى المناجم، طولها ستة أمتار . وبالقرب منه أقيمت سدود اصطناعية .

وقد أوجز الاستاذ فاضل سعيد عقل ، في كتابه : « وجوه من المغتربين » (بيروت ١٩٥٨) ، بصفحات قليلة ما ذكره لودوفيكو شونهاغن عن أعمال الفينيقيين في البرازيل . إنه يذكر اهتداء الفينيقيين إلى الذهب بحالته الطبيعية وإلى سائر المعادن التي نقلوها إلى بلادهم الاصلية . وأخذوا من الأحجار الكريمة كميات وافرة وباعوها في بلدان حوض المتوسط :

وقد جاءوا بها خاصة من سيراداكوروجا،وبيكاوي (بياوي اليوم) واكاري وريو غراندي دي نورتي ، حيث أعدّوا مستودعات سرّية تحت الأرض وفي المغاور . وكانوا يستعملون اصطلاحات خاصة لتسميتها والاشارة إلى مركزها،لئلا يهتدي أحد الغرباء اليها . وأحاطوا أعمالهم هذه بأسرار وتقاليد دينية، مستعينين بكهنتهم للتأثير على الشعب والعمال ولطلب التوفيق وشفاعة الآلهة . ولذلك أعدّوا بعض المنشآت الدينية قرب مراكز أعمالهم .

وهناك أيضاً ممرّات هامة تحت الأرض في منطقة التواليغره،يتصل بعضها ببعض بواسطة دهاليز متشعبة . ويتخلّلها بحيرات صغيرة وغرف للأعياد وأخرى للعبادات والطقوس.ولا يعرف أحد هندستها وأبوابها الا الفينيقيون أنفسهم . وأهم هذه المعابد – المشاغل اكتشف في غواريتا . ويمكن زيارتها في أيامنا .

وعُثر على أعمال وآثار مماثلة في فيسوزا دوس اركوس حيث حُفر نفق جسري علوه متران وعرضه متران . ولا يمكن عبوره والوصول إلى الهدف الا بمعرفة قراءة الكتابات المحفورة هناك بأحرف فينيقية ، وتمييز الاشارات المنحوتة في الصخور .

وهكذا جعلوا المنطقة الممتدة من فيسوزا إلى الجنوب منطقة مناجم

حافلة بالمغائر والانفاق والمشاغل . وربما أهمها كهف أوباجارا الذي يتضمّن ١٢ قاعة كبيرة وأكثر من ألف متر دهاليز . واستخرجوا الذهب والحجارة الكريمة على نطاق واسع . وكما ذكرنا سابقاً ، صدّروا هذه المغانم والمكاسب إلى الشرق .

وعن رسالة كتبها العالم النمساوي لموسى كريّم صاحب ومدير مجلة الشرق في سان باولو ونشرت في هذه المجلة (١٥ ايلول ، ١٩٢٨ صفحة ٢٦ — ٢٧) ننقل ما يلي : « وفي الاسبوع الغابر اكتشفوا في مدينة كمبينا غراندي ، من أعمال براهيبا ، سداً كان يسع أكثر من مليون متر مكعب من الماء واسم السد « بوشي نانا » ومعناه صندوق الالهة نانا الاحساني ، حامية الاولاد ونصيرة النباتات .

وفي بلادك أيها المدير الفاضل كانت توجد معابد باسم نانا ، وعلى مدخل كل معبد كانوا يضعون صناديق يضع فيها الكهنة التقدمات ذات الرائحة العطرية . ولذلك يطلقون اليوم اسم نانا على جوهر الطيب ويقول الكهنة في صلواتهم : « حينما تمتلىء الكنيسة من جوهر الطيب تحضر سيدتنا مريم العذراء لتسمع شكاوى وتضرّعات المؤمنين » .

وكان الفينيقيون القدماء ، أو بالحري كهنتهم ، يصلّون في معابدهم قائلين : « حينما يفوح الطيب في الهيكل تُسَرّ نانا الخالدة وتحضر لسماع ابتهالات اولادها . » وهذه التقاليد تدرّجت إلى البرازيل ودخلت اليها بواسطة كهنة الفينيقيين . والسد الذي نحن في صدده أنشىء اكراماً لنانا ، على أمل أن تجعله دائماً مملوءاً بالمياه الصالحة في أوقات القيظ والجفاف » .

٥) بعثات تجارية مشتركة

زعم البعض أن اليهود والمصريين لا الفينيقيين وصلوا أولاً إلى القارة الاميركية ، بسبب اكتشاف بعض الكتابات في البرازيل وغيرها تشبه نوعاً ما الابجدية العبرانية ، وكتابات أخرى بأحرف فينيقية لكن محتواها التاريخي يهودي وله علاقة بالكتاب المقدس ، بالعهد القديم

طبعاً . لاحظنا ذلك عندما تكلّمنا عن ترجمة برنردو راموس لبعض اللوحات الصخرية ، الأثرية، في ولاية الامازون، وإن كنا لا نثق كثيراً بصحة ما وصل اليه من نتائج .

كما إنه عُثر في البرازيل والمكسيك على منشآت عدّة تشبه الأعمال المصرية في وادي النيل . وسنأتي على ذكر بعضها في ما بعد .

لكن ، من جهة ثانية ، بعد الاطلاع على آثار قيل أنها فينيقية أو يهودية عثر عليها في اميركا ، تبنّى بعض علماء الآثار والمؤرخين رأي اونفروا دي تورون المذكور سابقاً،وهو قيام الفينيقيين واليهود ببعثات تجارية مشتركة ، ووصولهم إلى البرازيل ، إلى مجاهل الامازون ، حيث وُجدت مملكة اوفير التي تحدّث عنها الكتاب المقدس .

يقول في هذا المعنى البروفسور لودوفيكوشونهاغن : بعد أن خلف سليمان الحكيم أباه داود في الحكم وقّع معاهدة مع حيرام ملك صور ، قوامها استثمار مشترك لبلاد الانهر الثلاثة التي اكتشفها الفينيقيون،قبل ذلك العهد بمدة وجيزة ، وهي فروين واوفير وابيرا . وليست سوى فروع لنهر الامازون . وأنشئت على شواطىء هذا النهر مستعمرات يهودية صغيرة . وظلّت السفن الفينيقية اليهودية تحمل المسافرين إلى هذه المستعمرات وتجلب ذهب أوفير إلى الشرق .

ولا بدّ أن نشير الى ما كتبنا سابقاًعن صخرة بارايببا،ورأي فان دين برندن باتفاقية حيرام وسليمان ، ووصول احدى السفن الفينيقية الى البرازيل ، في السنة التاسعة عشرة لحكم حيرام .

إذن ، نظرية البعثات الفينيقية اليهودية المشتركة تعطي جواباً وايضاحاً لوجود بعض الكتابات العبرانية او لما له علاقة ببعض أفراد من الشعب اليهودي .

٦) الاستعانة بمهندسين مصريين

يقول البروفسور لودوفيكو شونهاغن ، في احدى محاضراته ، في مدينة سان بولو ، عام ١٩٢٩ : ان العلاقات بين الفينيقيين والمصريين

واليهود ، في ايام الملك سليمان والملك حيرام كانت حسنة جداً . والتاريخ يخبر أيضاً ان الملك سليمان اوصى على سفن له في الدوائر المصرية. فلا يستبعد إذن ان يكون المصريون ساعدوا الفينيقيين في استعمارهم السلمي، بارسال مهندسين مصريين في السفن الفينيقية .

للوصول الى هذه النتيجة استعان المؤرخ المذكور ببراهين ثلاثة :

ذكر اولا انه في عام ٩٥٧ حدث انقلاب في مصر كان له أثر عميق على العلاقات بين اسرائيل ومصر وفينيقيا . إن شسهولك رئيس المحاربين في خدمة فرعون، استولى على الملك بعد وفاة هذا العاهل . فاحتجّ الملك سليمان على المغتصب مطالباً بإقامة ابن الفرعون المتوفي خلفاً لابيه .

فأغتاظ الطاغية شسهولك وتدخّل في ثورة ابن سليمان ضد ابيه . فبدأ يضعف ويتقهقر ملك اليهود ، منذ تلك الأيام .

ونظراً لحياد الفينيقيين في هذه المرحلة ، وقّع معهم الفرعون الجديد معاهدة ساعدتهم على استعمار البرازيل . ويشير التاريخ المصري الى هذه المعاهدة التي بموجبها يقدّم الفينيقيون الذهب والفضة الى المصريين الذين، بدورهم ، يعاونونهم بالمهندسين والعمّال .

اما البرهان الثاني فهو المذكور سابقاً عن « تاريخ العالم » للمؤرّخ ديودورس الصيقلي (الكتاب الخامس: ١٩–٢٠) ، وعن اقوال صولون في اطلنتدا وارض يابسة وراء الاطلسي . والمعروف عن صولون انه تعلمّ في المعاهد المصرية حوالي عام ٧٠٠ ق.م. .

والثالث هو وجود منشآت عدة في البرازيل والمكسيك تشبه الآثار الجبّارة التي تركها المهندسون المصريون .

في البرازيل ، بين الاكواس وسرجيب يقــع نهر سان فرنسيسكو المشهور. ودعاه كاتب انكليزي النهر المصري البرازيلي لأن اقنيته وسدوده وخزاناته صُنعت على طريقة النيل تماماً في مساحة لا تقل عن ٣٢٠ كلم .

وهناك شلالات «باولو أفونسو»، فيها الكثير من عمل الانسان وتشبه شلاّلات النيل في الخرطوم .

وهذا الخرطوم البرازيلي بني على اساس خمس اقنية متحاذية تصب،

منفصلة ، في حفرة واحدة مربعة ، عمقها خمسون متراً في الحجر الصلب وهو حتى اليوم مصدر لا بأس به من الطاقة الآلية .

وتوغّل الفينيقيون داخل الولايات البرازيلية ومعهم مهندسون وعمال مصريون . وأنشأوا الثغور في داخلها، كثغر توواه (اي صور القديمة) في « ماتو غروسّو»، وهي متصلة باقنية كبيرة الى البحر بحيث كانت تسّهل مرور السفن من المحيط الاطلسي الى السدود والخزانات والولوج الى داخل البلاد، حيث مناجم الذهب والحجارة الكريمة .

وقامت تجارة الفينيقيين مع المصريين على تصدير الذهب والفضّة والسالتر ومواد اخرى لتحنيط الموتى والصبغــة الارجوانية . وقــد استثمروا هناك أعظم منجم ذهبي اسمه «مارا كاسومي» اي دائرة الرب.

واستثمروا كذلك مناجم عدة لاستخراج السالتر ، أهمّها منجم اوباجارا في ولاية سيارا (Ceará) . وفي ولاية باهيا (Bahia) عثر على خمسين فرناً تقريباً ، لهذا الغرض، وحوالي المئتين في ولاية « ميناس » (Minas) لأنها أغنى الولايات معدناً وحجارة كريمة .

وأعدّوا حبراً أحمر أو دهاناً ثابت اللون من شجرة تدعى «أرابيتا»، في ولاية بياوى، وأطلقوا عليها اسم برازيل، لأنها من لون البرازا أي الحمر.

٧) بين الحقيقة والخيال

أوردنا في هذا الفصل الكثير من الأخبار ، على علاّتها ، كما استقيناها من بعض الكتب والمجلات ، وخاصة من مقالات للمؤرّخ النمساوي لودوفيكو شونهاغن . وذكرنا اننا انتقلنا من عالم الوقائع والحقائق المثبتة بكتابات حفرت على الصخور إلى عالم التخمينات والترجيحات . لذلك يصعب جداً ، في ظروف كهذه ، تمييز الحقيقة الصرف مما هو نتيجة خيال مجنّح .

لكنّ، لا بد من إبداء بعض ملاحظات تساعد على تفهّم المجهول ووضع الأمور في نصابها .

يتكلّم شونهاغن عن حوادث جرت منذ حوالي ثلاثين قرناً بثقة من

يراها أمامه وهو يكتب . أما نحن فنظن أن الآثار التي عثر عليها لا تسمح له بالتمادي إلى هذا الحد في ترجيحاته ، وخاصة في الاثباتات .

وكذلك ، ليس من أدلة كافية تبرهن عن وجود حوالي أربع مئة مستعمرة فينيقية في اوروبا وآسيا وافريقيا، يوم كان عدد سكان العالم قليلاً جداً بالنسبة لما هو عليه اليوم . المبالغات في هذه الامور لا تخدم الحقيقة بل تشوهها .

ثم يقول العالم النمساوي : إن الفينيقيين بلغوا الشواطىء البرازيلية حوالي عام ١١٠٠ ق . م . وينسب ما أخبر ديودورس الصيقلي عن الجزيرة البعيدة التي اكتشفها الفينيقيون، ما وراء عواميد هرقل، إلى هذا العهد بالذات، بينما يفترض غيره أن الخبر المذكور قد دُوّن على صخرة بارايبا.

نعتقد أن النتيجة التي يوصل اليهـا النص المكتوب على صخرة بارايبا هي أن الفينيقيين بلغوا الشاطىء المذكور صدفة . رمتهم الامواج على ذلك الشاطىء دون أن يقصدوه، ودون أن تكون لهم رحلات سابقة، متواصلة ، إلى تلك البلاد .

يعود تاريخ الرحلة إلى السنة التاسعة عشرة لملك حيرام ملك صور ، أي سنة ٩٥٠ ق . م . وليس ١١٠٠ تقريباً . إذن ، إن صح هذا الافتراض : ان الفينيقيين أمّنوا المواصلات بين فينيقيا والبرازيل مدة طويلة ، فيكون ذلك منذ عام ٩٥٠ وليس في الجيل الحادي عشر أو الثاني عشر .

أما ما ذُكر عن جزر كرايبيا وعن قبائل التوبي السبع النازحين منها إلى البرازيل وفنزويلا ، فليس من السهل انكاره . إنه من صميم تقاليد السكان الاصليين . وكتب كثيراً عن هذه التقاليد أحد المرسلين الاولين إلى العالم الجديد ، الاب انطونيو فييرا . ولم يتسنَّ لنا وقت كاف عندما كنا في البرازيل حتى نطّلع على كل مؤلفاته في هذا المجال .

وهناك أمور لسنا نقدر أن ننكرها ولا أن نؤكّد أصالتها ، خاصة ما له علاقة بفيلولوجية الكلمات، مثل « بوريتي » التي قال عنها شونهاغن إنها تنحدر من كلمة بيريت الفينيقية (بيروت اليوم) وتوراه ، أي

صور القديمة . وكذلك ما أورده من رسوم زاعماً أنها رموز وإشارات وضعها الفينيقيون للارشاد إلى مناجم الذهب، وتعيين طرقها ومسافاتها .

لم نفهم معنى تلك الرموز والاشارات ، لكننا لاحظنا في بعض الرسوم (لوحة ٥٠—٥١) دائرات عدة شبيهة بالاسطوانات الشمسية ، كما وردت في الآثار الفينيقية ، على الآنية الخزفية وغيرها في مدينة جبيل وقرطاجة ...

أما نظرية البعثات التجارية المشتركة فنقبل بها بمقدار موافقتها للكتابات الفينيقية المكتشفة في مجاهل الامازون وعلى صخرة بارايبا .

وما لُقّب بالنهر المصري البرازيلي ، وكل ما هنالك من أعمال تشبه منشآت المصريين في الخرطوم ومصر تجعلنا نفكّر بامكانية وصول المصريين إلى اميركا ، منذ أجيال عدة ، إما في سفنهم الخاصة وإما على سفن فينيقية . وهذا الارجح . لأن الفينيقيين واليهود والمصريين عاشوا على وفاق تام في ما بينهم طوال حقبات عدة من الزمن ، وخاصة في عهد سليمان وحيرام .

ولا بدّ من الاشارة إلى لوحات تاريخية شهيرة اكتشفت في مصر ، وهي تخبر عن أعمال الفرعون رعمسيس الثالث، ربما تزيد الموضوع وضوحاً.

ذكر في إحدى اللوحات أن هذا الملك بنى في عاصمة مملكته «طيبة» ، سنة ١١٧٠ ق . م . مدرسة للهندسة . ومن مهندسي المناجم المتخرّجين فيها أرسل بعثة إلى الجزيرة العربية للبحث عن حجارة الجزع واللازورد ؛ وبعثة ثانية إلى الحبشة للتنقيب عن مناجم الذهب ؛ وبعثة ثالثة كُلّفت بالتنقيب عن مناجم النحاس في أتكا ، وفئة رابعة من المهندسين والعمال أبحرت في سفن فينيقية إلى شرق جنوب افريقيا . وهذه اكتشفت كثيراً من المناجم في ما نسمّيه اليوم الموزنبيق والترنسفال .

بعد نجاح هذه البعثة الأخيرة ، ليس من المستبعد أن يكون الفراعنة أرسلوا مع الفينيقيين بعثة أخرى من المهندسين والعمال المصريين للتنقيب عن الذهب ومعادن أخرى وحجارة كريمة في بلاد أكتشفها أبناء صور وصيدا ما وراء المحيط الأطلسي .

الفصل السابع

علاقة قرطاجة بالسفر الى اميركا

يظن لودوفيكو شونهاغن أن الفينيقيين أمّنوا العلاقات التجارية بين فينيقيا والبرازيل مدة ٨٠٠ سنة تقريباً ، أي إلى أن هدم الاسكندر بن فيلبوس المقدوني عاصمتهم الكبرى صور ، عام ٣٣٢ ق . م .

أما فينيقيو قرطاجة فقد اشتركوا في هذه الأسفار إلى البرازيل منذ سنة ٧٠٠ ق . م . تقريباً . واستمرت بعثاتهم التجارية إلى العالم الجديد حوالي ٥٥٠ سنة ، أي إلى أن هدم الرومان قرطاجة عام ١٤٧ ق . م .

١) لمحة تاريخية

لا بد من لمحة خاطفة عن تاريخ قرطاجة وتأسيسها ، لما له من علاقة هامة بسفر القرطاجيين إلى البرازيل وبلدان أخرى من أميركا .

في أواخر الجيل التاسع قبل المسيح، كان متّان الفينيقي ملكاً على صور . وأوصى قبل موته (٨٢١) بأن تشترك ابنته اليسار مع أخيها بيغماليون بالملك لأنها كانت أكبر منه سناً وذات رأي صائب وتدبير حكيم .

لكن بيغماليون أراد الاستئثار بالحكم وحده ، ووافقه على ذلك حزب الشعب . ثم عمد إلى قتل زيكار ، الكاهن الأكبر ، زوج أخته اليسار ، لأنه كان يخاف نفوذه ويطمع بثروته العظيمة .

فهبّت اليسار والحزب المناصر لها للانتقام وإشعال الثورة فلم تُفلح لأن حزب الشعب كان أقوى . لذلك آثرت الابتعاد عن مملكة أخيها مع حاشيتها وخيرة رجالها . ولُقّبت بديدون أي الهاربة .

وهذا حدث شبه عادي في التاريخ القديم . نتيجة الصراع بين حزبين قويين كانت أن غادر الحزب المغلوب على أمره البلاد ليؤسّس مملكة أخرى قويّة تقدر يوماً أن تتغلّب على الوطن الام .

من صور اتّجهت اليسار ومن معها إلى قبرص . ثم أبحرت من جديد غرباً حتى بلغت شمال افريقيا ، حيث مدينة تونس اليوم . وكانت تسكن هناك جالية صيدونية منذ عام ١٢٤٠ تقريباً ، في نقطة استراتيجية هامة ، على الطريق البحرية التي تصل القسم الشرقي من البحر المتوسط بالقسم الغربي .

ويعتقد أكثر المؤرخين اليوم أن تأسيس قرطاجة كان عام ٨١٤ق. م. وقال جيرار ولتر في كتابه « تدمير قرطاجة » : « ولدت قرطاجة — المدينة الجديدة — ذات يوم من أيام صيف ٨١٤ قبل المسيح ، وقبل مولد روما بخمسين عاماً . فسهرت فوق سريرها أميرة صبية حسناء ، بينما سهرت فوق سرير روما ذئبة تكشّر عن أنيابها وتنشب مخالبها. »

وما كادت ديدون ومن معها يؤسسون قرطاجة حتى بعثوا رسلاً إلى بلدان عدة مجاورة ليجمعوا عمالاً وجنوداً وسكاناً لعاصمتهم الجديدة . أما الصوريّون فأرسلوا اسطولاً ليمنع هذا التجمع الخطير . والقرطاجيون ، بدورهم ، كي ينتقموا من الحزب الحاكم في صور ، قرر مجلس شيوخهم عدم السماح بالمرور في مضيق قادش (جبل طارق أو أعمدة هرقل) لكل سفينة تحمل مهاجرين إلى مستعمرات صور في المحيط الأطلسي ، مهددينهم بالقتل، اذا وقعوا تحت رحمة السفن المكلّفة مراقبة المضيق .

ويعتقد شونهاغن أن الدافع لهذا التدبير هو منع الصوريين من نقل مهندسين وعمال فينيقيين ومصريين إلى البرازيل والقارة الاميركية . ونتيجة لموقف قرطاجة المعادي لصور ومنشآتها في القارة الاميركية

انقطعت الصلات بين فينيقيا وبين المهاجرين منها إلى العالم الجديد .

جاء في كتاب لودوفيكو شونهاغن : « لما انقطعت الصلات بينهم وبين وطنهم بحث نفر من الزعماء والمهندسين الفينيقيين والمصريين عن حقول جديدة للعمل حول شاطىء اميركا الوسطى ، حيث مهّدوا للحضارة المكسيكية » .

وتكلّمنا سابقاً عن رأي اونفروا دي تورون حول وصول القرطاجيين بعد الصوريين والصيدونيين بأجيال قليلة إلى البرازيل وغيرها من الدول الاميركية .

وذكرنا بعض الشيء عن كتابات وجدت في ولاية بنسلفانيا، في اميركا الشمالية، يستنتج منها أن جماعة من القرطاجيين وصلت إلى تلك الأبعاد حوالي عام ٣٧٢ ق . م . وكانت على صلة بأكثر من سبعين أميراً وزعيماً من أعيان الوطن الأم .

كما ان كتابة غافيا ، إذا أخذنا برأي فان دين براندن ، هي قرطاجية، وكتبت ما بين الجيل الثاني قبل المسيح والجيل الاول بعده .

ولا حاجة أن نكرّر ما أورد تيوبومبس وارسطو وديودورس الصيقلي عن الحصار الذي أقامه القرطاجيون حول جبل طارق، ضد الصوريين واليونانيين .

٢) ملاحظات حول آراء شونهاغن

لنا كلام قليل حول هذا الموضوع . فقصّة ديدون وتاريخ تأسيس قرطاجة أصبحا معروفين من الجميع ، ويوجد شبه إجماع عليهما . الخلاف بسيط ، وهو على بعض التفاصيل لا غير .

أما ملاحظتنا الاولى فهي حول المواصلات الفينيقية من صيدا وصور خاصة إلى اميركا ، وقد دامت ، حسب رأي شونهاغن ، حوالي ٨٠٠ سنة . ومن قرطاجة حوالي ٥٥٠ .

نعتقد بوجود مبالغات كبرى في هذه الأرقام . وغالباً ما يحدث أن المبالغات تشوّه الحقيقة وتُبعد الكثيرين عن اعتناقها بحجة أن كل ما قيل

حول الموضوع العام ، الشامل ، مبالغة ، ونتيجة خيال مجنّح .

فلو أن هذه الأسفار المتواصلة بين فينيقيا واميركا دامت مدّة طويلة ، كما ذكر شونهاغن ، لما تجاهلها المؤرّخون ، وهم الساعون إلى كل طريف وغريب وجديد .

ثم ، مرّت على الفينيقيين وجيرانهم أيام سوداء. وكان الجيل السادس قبل المسيح مثلاً من أسوأ ما عرفوا، لأنّ فيه تمّ فتح نبوكد نصّر البابلي، كما ذُكر سابقاً ، فسقطت صور وصيدا وجبيل واورشليم وغيرها بين يدي الفاتح البابلي . لسنا نظن أن فينيقيا ، في ظروف قاسية كهذه تحاول أن توسّع تجارتها البحرية وتواصل بعثاتها الاستكشافية إلى ما سُمّي بالجزيرة الجديدة المكتشفة . لا بدّ ، عكس ذلك ، أن تكون حوّلت أسفارها وتجارتها إلى أدنى حدّ ممكن .

هنا نتّفق مع فان دين براندن ونلتقي معه في موقفه من المحتوى التاريخي لصخرة باراييبا ، المخالف لرأي الدكتور غوردن .

أما نقطة الخلاف الثانية فهي على موقف قرطاجة المعادي لصور ، وحصارها الشديد حول عواميد هرقل بحيث منعت الصوريين من المرور في المضيق المشهور .

إن ديودورس الصيقلي يقيم علاقة واضحة بين اكتشاف الفينيقيين للجزيرة الكبيرة في المحيط الاطلسي والموقف المعادي الذي وقفته منها قرطاجة ، فيقول : « أراد الصوريّون أسياد البحر ، أن يُنشئوا فيها مستعمرة ، لكنّ القرطاجيين حالوا دون تنفيذ ذلك . من جهة ، خوفاً أن يرحل اليها ، بسبب جمالها عدد كبير من مواطنيهم . ومن جهة أخرى اعتبروها ملجأ يمكنهم أن يزحفوا اليه إذا دار دولاب السعد يوماً وحلّت بقرطاجة كارثة ... » (٥ : ٢٠)

أما شونهاغن فيعلن أن الدافع لهذا التدبير ، كما ذكر سابقاً ، هو منع الصوريين من نقل مهندسين وعمال فينيقيين ومصريين إلى البرازيل وأنحاء أخرى من القارة الاميركية .

لكننا نظن أنه في حال صدق هذا الخبر عن القرار الحاسم الذي

اتّخذه مجلس شيوخ قرطاجة، بإعدام كل من تسوّل له نفسه المرور في جبل طارق ، صورياً كان أم يونانياً ، فيكون السبب الأساسي العداوة بين قرطاجة واليونان، والخلاف بين قرطاجة أيضاً وصور. هذا الخلاف بين حزبين كان الدافع لتأسيس مدينة ديدون التي ستنتقل اليها ، بعد صور ، سيادة البحار . وكما نعلم ، زالت العداوة بين صور وابنتها قرطاجة مع الأيام . وعندما حاصر الاسكندر صور ، كانت هذه ، حتى آخر لحظة تنتظر مساعدة من قرطاجة ، لكن لم تصل تلك المساعدة .

ثم نجد في موقف شو نهاغن بعض التناقض . فبينما يقول : إن المواصلات بين فينيقيا واميركا بقيت حتى حصار صور ، عام ٣٣٢ ق . م . يرجع فيقول في موضع آخر : نتيجة لموقف قرطاجة المعادي لصور ومنشآتها في القارّة الاميركية انقطعت الصلات بين صور وصيدا من جهة وبين المهاجرين منها إلى القارة الاميركية ، من جهة ثانية . وهو يشير لا إلى عام ٣٣٢ ق . م . بل إلى ما قبل ذلك بأجيال، حينما كانت العداوة في ذروتها بين صور وقرطاجة .

أخيراً يصل إلى نتيجة هامة جداً وقد ذكرناها سابقاً بحرفيتها : « لما انقطعت الصلات ... مهّدوا للحضارة المكسيكية » .

إننا نقبل بفكرة انقطاع الصلات بين فينيقيا عامة والمهاجرين منها إلى العالم الجديد مدة طويلة من الزمن . ونرفض الرأي القائل بأن الفينيقيين أمّنوا المواصلات بين وطنهم والقارة التي اكتشفوها طوال ثمان مئة سنة تقريباً ، للأسباب التي ذكرنا .

بين الاسكندر وصور

إن موقف اليونان من الفينيقيين هو موقف العدو الحاسد الطموح. ظهر ذلك في ظروف مختلفة، ذكرنا منها الحرب الطويلة المدى التي أسفرت عن سقوط طروادة وشواطىء آسيا الصغرى بيد اليونانيين (سنة ١١٥٠–١١٧٠ ق . م .) أي إن الفينيقيين خسروا في ذلك الوقت القسط الأكبر من مستعمراتهم الساحلية . أما كلامنا الآن فعن موقف الاسكندر من صور ، « مليكة البحار » .

١) موقف الاسكندر من صور

معروف عن الاسكندر أنه كان يعامل أعداءه ، بعد أن ينتصر عليهم برفق وشفقة . لكن معاملته لصور بلغت أقصى درجات الوحشية .

عندما استولى على المدينة عام ٣٣٢ ق . م . أعمل فيها السيف والدمار وعامل الصوريين شر معاملة ، فقتل ثمانية آلاف سجين سلّموا أنفسهم إثر مقاومة بطولية دامت سبعة أشهر . واستعبد ثلاثين ألفاً من النساء والأطفال . ولم يبق في المدينة الا بعض العجز . وعيّن ملكاً عليهم عبدولونيم ، أحد باعة الماء في الشوارع .

هكذا انتهى مجد المملكة الفينيقية التي سيطرت على البحار، وغدت ركناً ودعامة في صروح الحضارة الانسانية . ولسنا نعتبر الدافع الوحيد ،

لعمل الاسكندر الوحشي ، غضبه على شعب يدافع عن حقوقه ووطنه .

ذكرنا سابقاً بعض ما قال أرسطو عن مستعمرات الفينيقيين في الغرب . وكما نعلم فإن أرسطو كان مربّياً للإسكندر . ومن البديهي أنه لقّن تلميذه كل ما يعرف عن جغرافية عالمنا وتاريخه .

ونهل الشاب ، ابن فيلبوس المقدوني فكرة فتوحاته وتوحيد العالم كله تحت سلطانه من تعاليم معلّمه ومن طموحه الخاص . ودخلت في حدود تصميمه السيطرة على البحار ، وعلى مستعمرات الفينيقيين ومحطاتهم ، قرب شاطىء البحر المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الأطلسي .

وبعد سقوط صور استولى الاسكندر على مصر التي لم تظهر مقاومة تذكر ، سنة ٣٣١ قبل المسيح . واختار مكاناً مناسباً تبنى فيه العاصمة الجديدة التي ستحمل اسمه : « الاسكندرية » ، وتغدو « مليكة البحار » ، بدل صور المهدومة . وعيّن القائد بطلوماوس حاكماً على بلاد الفراعنة ، وأمره بأن يُعدّ أسطولاً عظيماً ، ربما أحد أهدافه ، احتلال مستعمرات الفينيقيين على شواطىء المحيط الاطلسي ، حسب قول لودوفيكو شونهاغن .

ثم تابع الاسكندر فتوحاته في آسيا . اما بطولوماوس فهيأ حملة بحرية كبيرة وأرسلها إلى الغرب . لكن إلى أين وصلت ؟ وماذا عملت ؟

لنترك الكلام لكانديدو كوستا (Candido Costa) ، في كتابه : « الاميركتان » (Duas Americas, p. 48.) فهو يخبرنا عن اكتشاف هام ربما يكون جواباً على السؤالين معاً :

« قرب مونتيفيدايو ، في مدينة دورس ، (Dorês) اكتشف أحد المزارعين لوحة من حجر عليها كتابات غريبة ، فوق مدفن من آجر يحتوي على خوذة وسيوف قديمة أضرّ بها مرور الزمن ، وقارورة كبيرة من الخزف . وسُلّمت كلها للعالم الاب مرتينس (Martins) الذي توصّل أن يقرأ على اللوحة هذه الكتابة اليونانية : « اسكندر ، بن فيلبس ، كان ملكاً على مقدونيا ، في « الاولمبيادا » (Olimpiada)

١١٣ . إلى هذه الامكنة بطلوماوس » ... وينقص الباقي . وعلى أحد السيوف حُفر رسم يظهر أنه يمثّل الاسكندر . وعلى خوذة رسمت صورة تمثّل أخيل جاراً جثة هكتور ، وراء أسوار طروادة . فيمكننا أن نفترض أن العواصف أوصلت أحد قواد الاسكندر إلى ذلك المكان ، وبنى هذا الأثر تخليداً للذكر » . هنا ينتهي كلام كنديد وكوستا .

وقد مات الاسكندر ، على الارجح مسمّماً ، سنة ٣٢٤ ق . م . ثم اقتسم قوّاده امبراطوريته ، وبدأوا يشنّون الحروب بعضهم على بعض .

وبطولوماوس الذي اهتمّ ، في باديء الأمر ، بإرسال بعثة إلى اميركا ، تلبية لرغبة ذي القرنين ، أعلن نفسه ملكاً على مصر ، ولاقى صعوبات كبيرة من بعض قوّاد جيشه . ويقول لودوفيكو شونهاغن إنه لاجل هذه الصعوبات لم يهتم بطولوماوس لما يحدث ما وراء المحيط الاطلسي ؛ ولم يكن يحمل في نفسه طموح الاسكندر .

٢) اعتبارت اخيرة

حاولنا أخيراً أن نبحث عن السبب الرئيسي لموقف الاسكندر ، الشديد القساوة من صور ، بعد نهاية حصارها .

لسنا نظن أن الدافع لذلك الموقف الوحشي كون حكّام صور وكهنتها أغلقوا بوجهه باب هيكل ملقارات ، كما يظن البعض ، ولا لأن العاصمة الفينيقية المزدهرة لم تستسلم كغيرها من المدن الكبيرة ، بل العامل الأساسي هو أبعد من ذلك وأعمق .

إن صور ، سيّدة البحار ، كانت تزاحمه على السيادة البحرية ، وتفوّقت عليه في هذا المجال ، هو صاحب الطموح اللامحدود . انتشرت مستعمراتها على كل السواحل المعروفة في تلك الأيام . وتوصّل سكّانها بوسائلهم السلميّة ، من حنكة سياسية ومهارة تجارية وسلطة في البحار أن يكتسبوا من المستعمرات الغنيّة ما لم يقدر هو ، بحد السيف وقوّة جيوشه الجرّارة أن يستولي على مثلها .

لذلك ، وهو الرجل الطموح الذي يريد أن يكون الاول في البر

والبحر،وأن يجمع العالم كله تحت سلطانه ، اشتعل قلبه غيظاً من صور وصمّم في نفسه أن يحطّمها ويستولي على مستعمراتها،على شواطىء المتوّسط والمحيط الأطلسي .

وكما ذكرنا ، كان « لخلق » الاسكندرية ، وبناء أسطولها الجبار علاقة بهذا الهدف .

أما ما ذكر « كانديدو كوستا » عن البعثة التي أرسلها بطولوماوس من الاسكندرية إلى القارّة الاميركية ووجدت آثار لها في مونتيفيدايو فهو ذات أهمية كبرى .

وإننا نأسف مع العالم النمساوي لودوفيكو شونهاغن أن تلك الآثار التي عثروا عليها لم تدرس دراسة علمية كافية حتى تظهر قيمتها التاريخية .

إن « الاولمبيادا » ١١٣ بدأت سنة ٣٢٨ قبل المسيح . وكان بطولوماوس منذ ثلاث سنوات حاكماً على مصر .

ولسنا نظن أننا نبتعد عن الحقيقة إذا أضفنا بعض كلمات إلى ما قرأه الاب « مرتينس » على اللوحة المكتشفة في « دورس » . فمن الارجح أن الكتابة بدأت على النحو الآتي :

« إسكندر بن فيلبس كان ملكاً على مكدونية ، في « الاولمبيادا » ١١٣ . إلى هذه الامكنة بطلوماوس الحاكم أرسل اسطولاً (أو بعثة) تحت رئاسة ... »

وقائد البعثة قبل هدية ثمينة قبل سفره ، سيفاً يحمل رسم الاسكندر . وعندما عُثر عليه كان الصدأ شوّه بعض خطوطه وحال دون قراءة الكتابة المحفورة على قبضته .

كذلك أيضاً فالخوذة التي تزيّنها صورة أخيل جارّاً جثة رئيس شعب طروادة ، حول أسوار المدينة ، ربما تكون هديّة من الاسكندر أو من بطلوماوس لهذا القائد الذي كُلّف استكشاف سواحل المحيط الاطلسي ، أو الاستيلاء على مستعمرات الفينيقيين البعيدة . وهذا أيضاً شيء محتمل .

معروف عن الاسكندر أن المثال الاعلى ، في نظره ، كان البطل

أخيل . وفي المعركتين النهائيتين ضد جيوش داريوس كان ابن فيلبوس المقدوني يحمل رسم أخيل محفوراً على خوذته الخاصة .

ومن المحتمل أن بحّارة فينيقيين ، بعد خضوع مملكتهم للاسكندر أبحروا مع بعثة يونانية إلى شواطىء البرازيل ، إلى نهر سان فرانسيسكو ، ثم إلى نهر «لابلاتا»، وأخيراً إلى النهر الكبير الجنوبي، حيث غرق الاسطول بكامله ، أو على الأقل جزء منه .

وربما حدثت معركة بحرية مع عدو له سفن مسلّحة . فمن يكون ذلك العدو ! هل أحد القوّاد القرطاجيين مع جيشه أو السكان الاصليين لتلك البلاد ؟!

هنا أيضاً نحن في عالم التخمينات والترجيحات .

ويحق لنا أن نستنتج أنّ رئيس البعثة مع الكثيرين من رفاقه ماتوا إما غرقاً وإما خلال معركة دامية . لذلك فالأسلحة التي دُفنت معهم في القبر كثيرة . والباقون من الاسطول اليوناني جمعوا جثث الغرقى وحرقوها ووضعوا رمادها في قارورة الفخّار الكبيرة الحجم .

وكما ذكرنا سابقاً ، فبعد موت الاسكندر أعلن بطلوماوس نفسه ملكاً على مصر ولاقى صعوبات عدّة من بعض قوّاد جيشه . وبذات الفعل لم يعد يهتمّ بإرسال بعثات استكشافية إلى المحيط الاطلسي أو الاستيلاء على مستعمرات الفينيقيين في القارة الاميركية ، إن صح ترجيح شونهاغن .

وهكذا دائماً نرى مشاريع عدة تبدأ اليوم وغداً تُحوّر ثم تقف وتبدأ من جديد ، في زمن آخر ، مع معلّمين آخرين ولاجل أهداف أخرى، فلا يمكنها أن تأتي بنتائج مرضيّة . لأن سر التجاح في الاعمال والمهمات الكبيرة هو في التحقيق المتواصل للمفاهيم الاولى. فهم الفينيقيون هذا الواقع جيداً ولذلك ما وضعوا هدفاً أمامهم إلاّ حققوه .

خاتمة

بعد هذه السياحة الطويلة عبر الاجيال الغابرة ، بحثاً عن حلقات مجيدة ومفقودة من تاريخ الفينيقيين ، نقف برهة لنسترجع النتائج النهائية لدراستنا ، هذه الحقائق المثبتة بالادلّة الكافية الوافية لكنها ممتزجة بآراء ونظريات وتفسيرات عدة .

معطيات التاريخ والتقليد تقدّم لنا شيئاً زهيداً في هذا المجال : سماع الفينيقيين ، كغيرهم من الشعوب القديمة ، بوجود أرض يابسة ما وراء المحيط الاطلسي ، وامكانية محاولتهم الولوج إلى أبعاد الاوقيانوس ، على سبيل الفضولية ، أو رغبة بالتجارة ، أو هي الصدفة توصلهم إلى ذلك المكان ، بسبب عاصفة هوجاء تدفع احدى سفنهم ناحية الغرب . وكما ذُكر سابقاً ، فبين الامكانية والتحقيق فرق كبير .

أما الخبر الهام الذي أورده ديودورس الصيقلي عن اكتشاف الفينيقيين لجزيرة كبيرة ، خارج عواميد هرقل ، فلا يكفي وحده ، لإثبات حقيقة تاريخية هامة جداً كاكتشاف اميركا ، رغما أن الاوصاف التي أعطيت للجزيرة تشير إلى أنّ هذه شبيهة إلى حد بعيد ببلاد البرازيل . ينقص شهادة واضحة من مؤرّخين آخرين ليكون الاستناد إلى المعطيات التاريخية راسخاً وثابتاً .

ثم أن معطيات علم اللغة ، حتّى الان ، لم تقدّم لنا ما يكفي للانتقال

من الإمكانية إلى الواقع ، في هذا الموضوع الشائق والشائك معاً . لأن علم اللغة ما كان يوماً ، ومن الارجح لن يكون في المستقبل ، معصوماً من الخطأ في تفصيل أصل الكلمات وتطوّرها .

إن دراسة علميّة رصينة للّغة الفينيقية وللغات سكان اميركا الاصليين أصبحت ضرورية لمعرفة مدى تأثير اللهجة الفينيقية على هذه ، إن وجد حقاً تأثير مباشر . ويجب الانطلاق من النقاط الايجابية التي قدّمها أونفروا دي تورون ولودوفيكو شونهاغن ، لاجل بلوغ الهدف .

أما أول ما يراود فكر من يطّلع على اكتشاف المدافن والخزفيات في الامازون فهو وجود حضارة عريقة هناك ، أسمى وأرفع بدرجات من التي عثر عليها الاوروبيون، يوم وصولهم إلى أميركا .

كما أن هذه الجرار — المدافن ، وباقي الآنية الخزفية تجعلنا نفكّر أن ذلك الشعب الامازوني يشبه الفينيقيين كثيراً بعاداته وتقاليده وديانته .

لكن ، هل هم فينيقيون حقاً الذين هاجروا إلى تلك الأبعاد وتركوا هذه الآثار التي تشهد على حضارتهم ورقيّهم ؟

لا يسهل تأكيد حدث تاريخي من هذا النوع بمعزل عن أدلّة أخرى واقعيّة وواضحة . ولا يجوز ، من جهة أخرى ، نفي ذلك بطريقة إعتباطية .

ولاكتشاف نقوش ورموز ، تُمثّل السفينة الفينيقية ، على بعض صخور البرازيل قيمة تاريخية عظمى لأن السفينة كانت الرمز التقليدي للفينيقيين ، أسياد البحار . وما يزيد في قيمة الاكتشاف هو الشبه الأكيد ، الواضح بين هذه الرموز وبين ما عُثر عليه، في أماكن أخرى من رسوم لسفن فينيقية ، كصحفة أثرية في انقاض قرطاجة .

أما ما ذُكر عن « حوار الصخور مع الماضي » فلنا فيه أكبر دليل وأثبته عن وصول الفينيقيين إلى البرازيل . مع هذه الاكتشافات الكتابية ينتقل المؤرخ من الامكانية إلى الحقيقة والفعل . وهذا كفيل بإحداث ثورة في معطيات التاريخ ومفاهيمه،وبالعثور على حلقات مفقودة في

غياهب النسيان، واسترجاع آمال ضائعة، وإزالة مفاهيم ونظريّات في قمة السيادة وعمق الثبات .

ونعترف أنّ ما ورد عن الكتابات المكتشفة في أنحاء شتّى من القارّة الاميركية لا يكفي وحده للتأكيد أن الفينيقيين اكتشفوا كل تلك الانحاء قبل كريستوف كولمب بحوالي الفين وخمس مئة سنة .

لكنّ الكتابات المنتشرة في مجاهل الامازون ، لكثرتها وتنوّعها ، وبالوقت نفسه لتشابهها بعضها بالبعض الآخر ، تفتح درب نور من الماضي إلى المستقبل ، معلنة امام العالم أجمع أن الفينيقيين حملوا إلى تلك الغابات السحيقة حضارة أجيال ورقي تاريخ .

وفي البحث عن المحتوى التاريخي، فلصخرة باراييبا الافضلية على الجميع . إنها تذكر تاريخاً واضحاً — السنة التاسعة عشرة لحكم الملك حيرام — ، وكيف تحقق الاكتشاف ، وعدد الافراد الذين بلغوا الأرض الجديدة ، واسم رئيسهم ، متعشترت .

هذه الرحلة تشبه كثيراً ما أورد ديودورس الصيقلي عن اكتشاف الفينيقيين لجزيرة بعيدة في المحيط الاطلسي ، وراء عواميد هرقل وما ذكر هيرودوتس عن أسفار الفينيقيين البعيدة .

أما الذين يعترضون لأن النص الأصلي لكتابة باراييبا فُقد ، فيشكّون بأصالة هذه الكتابة ويتهمون مجهولاً بالتزوير ، فيجب أن يعلموا أنه ما من أحد من علماء ١٨٧٠ ولو مهما كان متضلّعاً باللغة الفينيقية ، كان قادراً أن يؤلّف نصاً من هذا النوع ، لأن اصطلاحات كثيرة لم تكن عُرفت بعد، ولا هذه اللهجة الفينيقية الخاصة التي دوّن فيها . وإن المغالطات اللغوية التي استند اليها البعض لإثارة الشكوك حول الكتابة، تؤيد ، في الواقع ، أصالتها . كما إن المحتوى التاريخي يشرح، بنوع طبيعي جداً ومنطقي، استعمال اللهجة الخاصة المذكورة .

وهناك كتابة اخرى ، ليس من السهل أن يجد المشككون سبيلاً للاعتراض على أصالتها . هي المعروفة « بصخرة غافيا » الرابضة على

تلة جميلة في الريو دي جانيرو ، مشرفة على شاطىء البحر . وشاهدها الناس منذ أمد بعيد .

حتى لو لم يكن لدينا من الأدلّة الكتابية سوى هذه الصخرة التاريخية التي يصعب جداً الشك بأصل الحروف الفينيقية التي تزيّنها ، هذا يكفي للبرهان ان الفينيقيين اكتشفوا البرازيل قبل كريستوف كولمب بقرون عدّة .

بعد هذا الارتقاء التدريجي من معطيات كانت ، في أول الأمر ، تشير فقط إلى امكانية اكتشاف الفينيقيين لما لُقب ، بعد أجيال ، بالعالم الجديد ، وصلنا إلى حقائق فعلية راسخة ، مستندة إلى أدلّة واقعية واضحة، تبرهن عن الانتقال من الإمكانية إلى التحقيق . وكانت الكتابات الفينيقية المدوّنة على لوحات صخرية ، في البرازيل ، قمة المستندات ، والمرشدة إلى الحقيقة الصرف .

لكن، بما ان الانسان لا يستطيع أن يتنشّق دائماً هواء القمم، ويمكث في مستوى الحقائق الراسخة النهائية ، فلا بدّ من العودة أحياناً إلى ما هو دون ذلك ، إلى النظريّات والتخمينات ، لئلا يعرّض حياته للجمود الفارغ . فالآراء والنظريات لها الفضل الأكبر في دفع عجلة العلم أشواطاً إلى الأمام، لم تتعرّف إلى أمثالها الأساطير .

لذلك ، بعد بلوغ القمة ، في ما اعتبرنا حقيقة واضحة، أردنا متابعة البحث في معطيات أخرى وقضايا أقل رسوخاً ونضجاً لنعلم ما هي الأعمال التي قام بها الفينيقيّون في البرازيل، فتفحّصنا آراء ونظريات عديدة مستندة أحياناً إلى أدلّة لا بأس بها وأحياناً أخرى إلى خيال مجنّح لا غير .

والنتيجة الحتمية أن الفينيقيين مكثوا في العالم الجديد مدة طويلة وتركوا آثاراً تشهد لرقيّهم وحضارتهم . أما عن أعمالهم بالتفصيل فما توصّل المؤرّخون أن يقولوا الكلمة الأخيرة .

لقرطاجة علاقة هامة بهجرة الفينيقيين إلى اميركا . كانت علاقة سلبية لمدة من الزمن، بسبب العداوة بينها وبين صور . لكن ، مع الأيام،

بعد زوال تلك العداوة التاريخية، انتقلت ابنة صور إلى طور المشاركة الايجابية ، وسافر القرطاجيّون بدورهم إلى العالم الجديد، حيث تركوا آثاراً هامة لا يسهل تمييزها ، الاّ في ما ندر ، من أعمال باقي الفينيقيين السبّاقين في الوصول إلى تلك الأبعاد .

وحتى الآن لم يتعمق المؤرخون كفاية بدرس علاقة الاسكندر بالفينيقيين، وأسباب عداوته لهم والانتقام القاسي ، بل الوحشي من صور . وربما أن الدافع لذلك الصمت هو تلك الهالة من نور التي كلّل بها المؤرخون القدماء رأس ابن فيلبوس المقدوني .

نعتقد ، مع لودوفيكو شونهاغن ، أن السبب الاولي لقساوة من هذا النوع هو طموحه اللامحدود وحسده لنجاح صور وتفوّقها . فأراد تحطيمها والاستيلاء على مستعمراتها، لأنها كانت تزاحمه، لا سيما على سيادة البحار، وهو الذي كان يطمح أن يجعل من الشرق والغرب دولة واحدة ، تدين للحضارة اليونانية ، « الاسكندرية » ، تحت سلطانه .

أما كريستوف كولمب الذي بلغ الشواطىء الاميركية عام ١٤٩٢ فكان مقتنعاً أن وراء الاوقيانوس الكبير تنبسط أرض واسعة الأرجاء ، عُرفت منذ القدم . فللتقليد دور هام في مبادرته التاريخية المجيدة . لكن لا يمكن اعتباره المكتشف الاول للقارّة الاميركية. فهو مجرد رحّالة عالمي يعود مجده إلى كونه أبحر بجرأة وسط المحيط الاطلسي على طريق البحّارة الفينيقيين المفقودة .

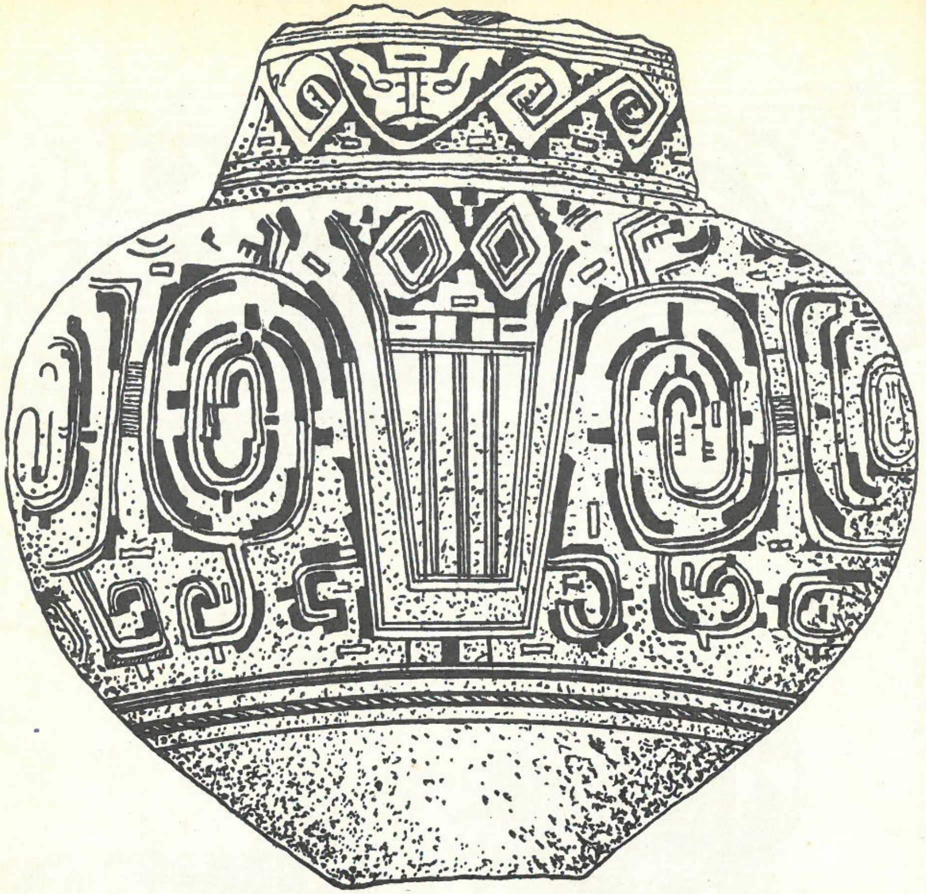

لوحة ١ اناء من آجر في جزيرة ماراجو

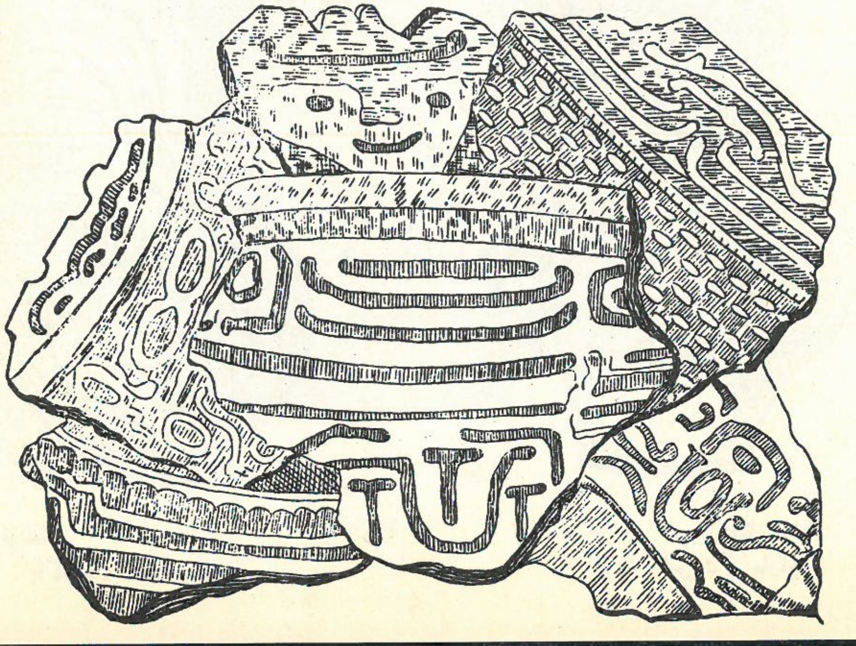

لوحة ٢ قطع فخارية في ميراكوريا

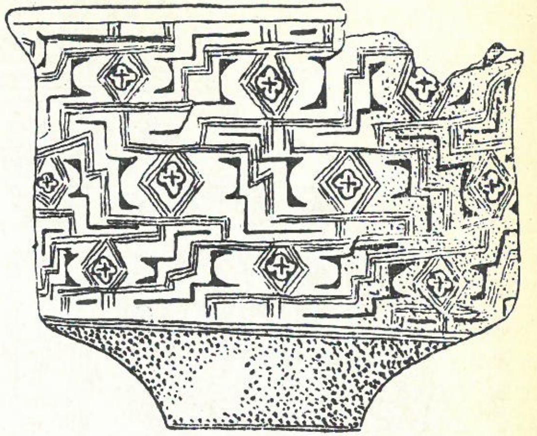

لوحة ٣ اناء في جزيرة ماراجو

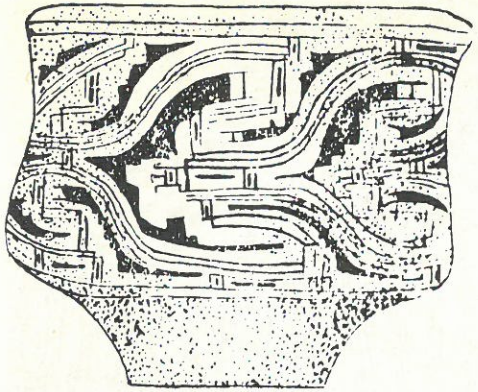

لوحة ٤ اناء ملون في جزيرة ماراجو

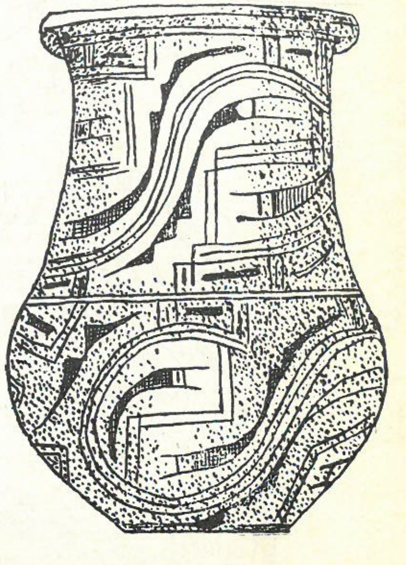

لوحة ٥ اناء في مدافن
باكوڤال ماراجو)

لوحة ٧ قصعة لحفظ الطعام
قرب الاموات في ماراجو

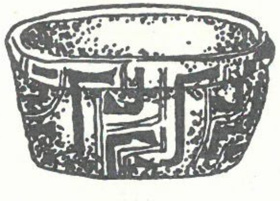

لوحة ٦ اناء منزلي ملون
في جزيرة مارا جو

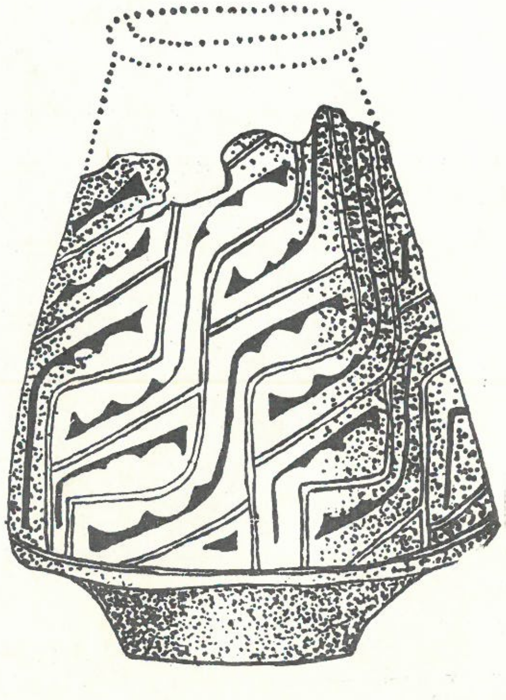

لوحة ٩ اناء تزينه نقوش
جميلة في ماراجو

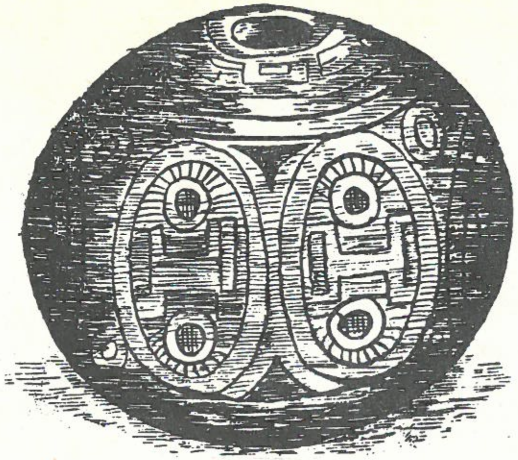

لوحة ٨   اناء مزدان بنقوش
جميلة في باكوڤال

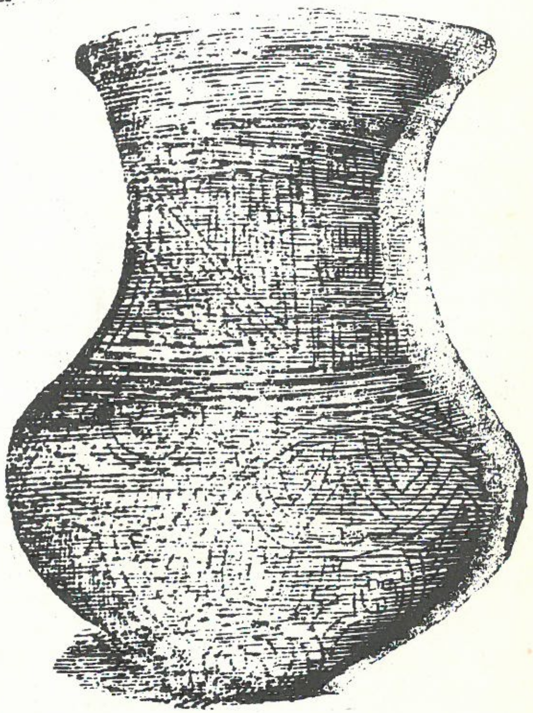

لوحة ١٠   احدى الجرار المحفوظة
فيها بقايا أموات في ميراكويرا

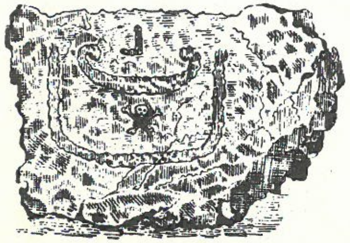

لوحة ١١   رسم لسفينة فينيقية
على صخرة في اوروكارا

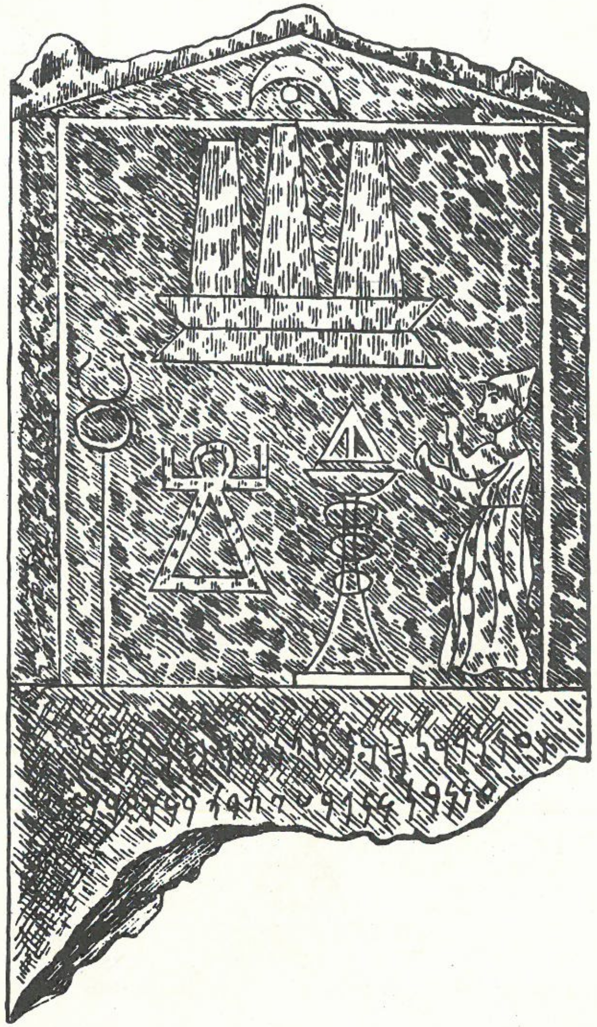

لوحة ١٢   رسم لتانيت الهة قرطاجة

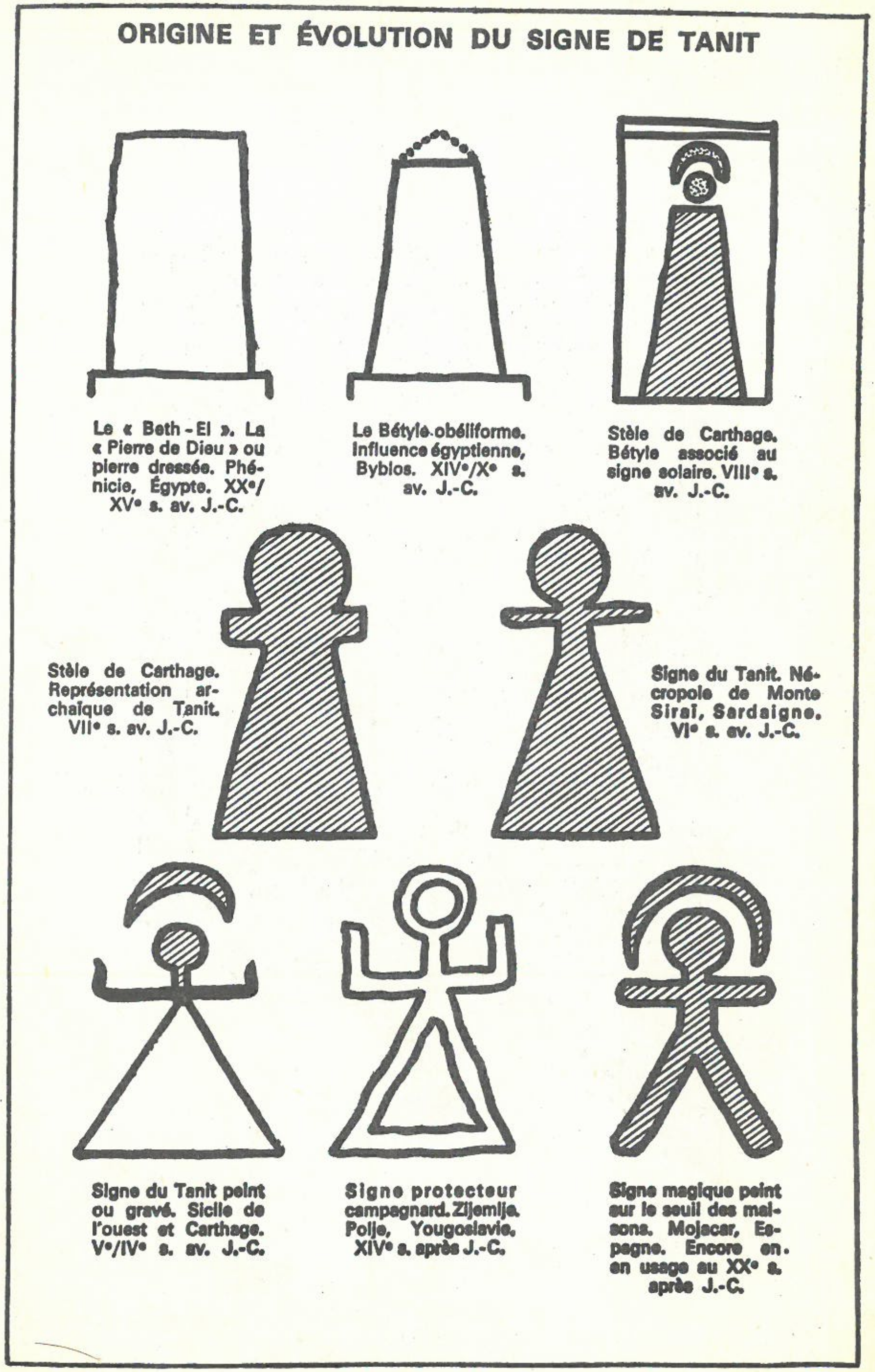

لوحة ١٣ أصل وتطور رمز تانيت آلهة قرطاجة

لوحة ١٥ الاله بعال
على رأسه إكليل
من نور

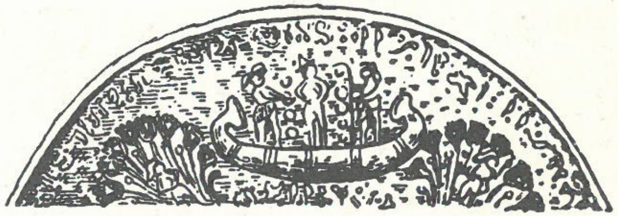

لوحة ١٧ صحفة في انقاض قرطاجة تحمل رسماً لسفينة فينيقية

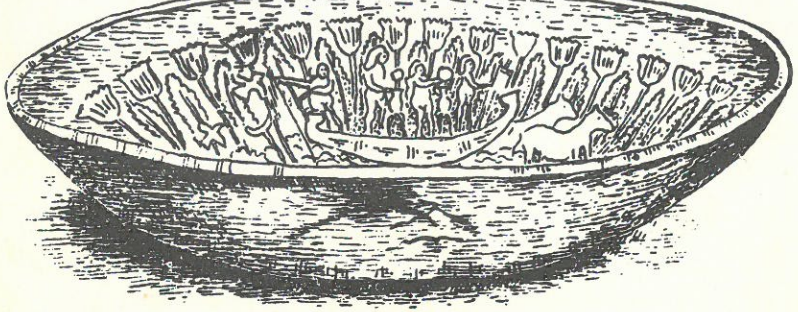

لوحة ١٦ من جزيرة قبرص تحمل رسماً لسفينة فينيقية

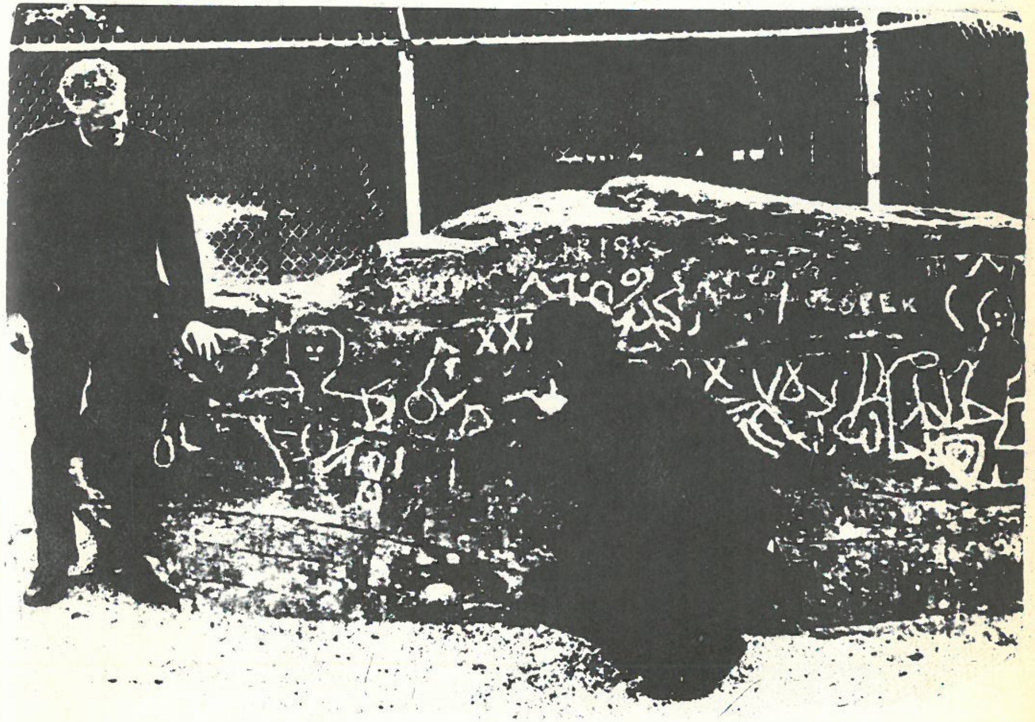

لوحة ٢٠ صخرة ديكتون في اميركا الشمالية

لوحة ٢١ قطعة من صخرة ايتاكواتيارا

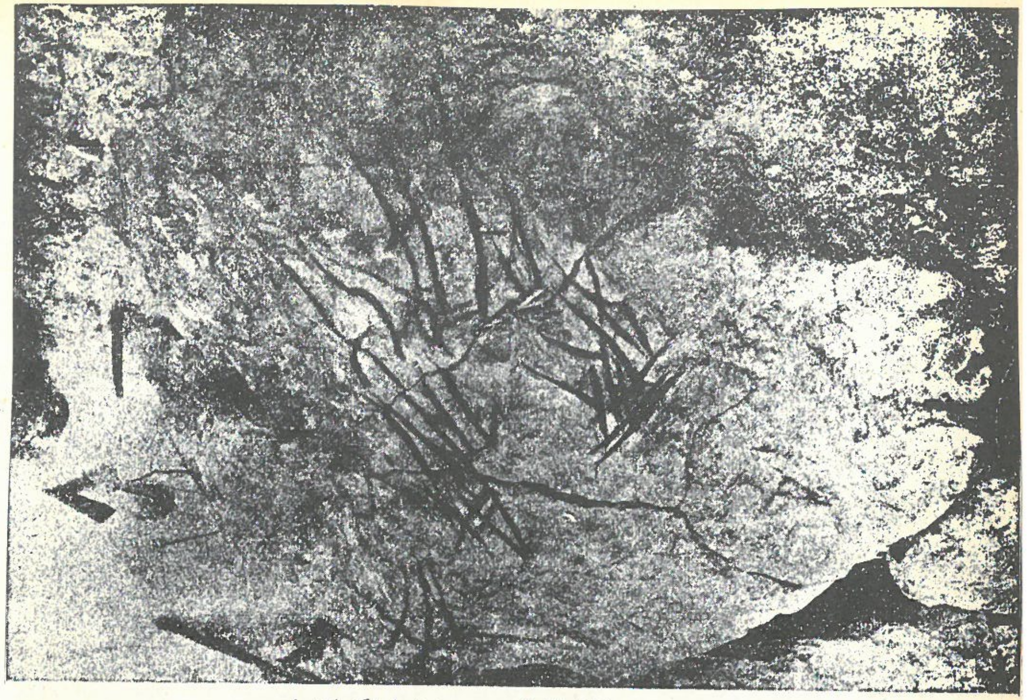

لوحة ٢٢ قطعة ثانية من صخرة ايتاكواتيارا

لوحة ٢٣ قطعة ثالثة من صخرة ايتاكواتيارا

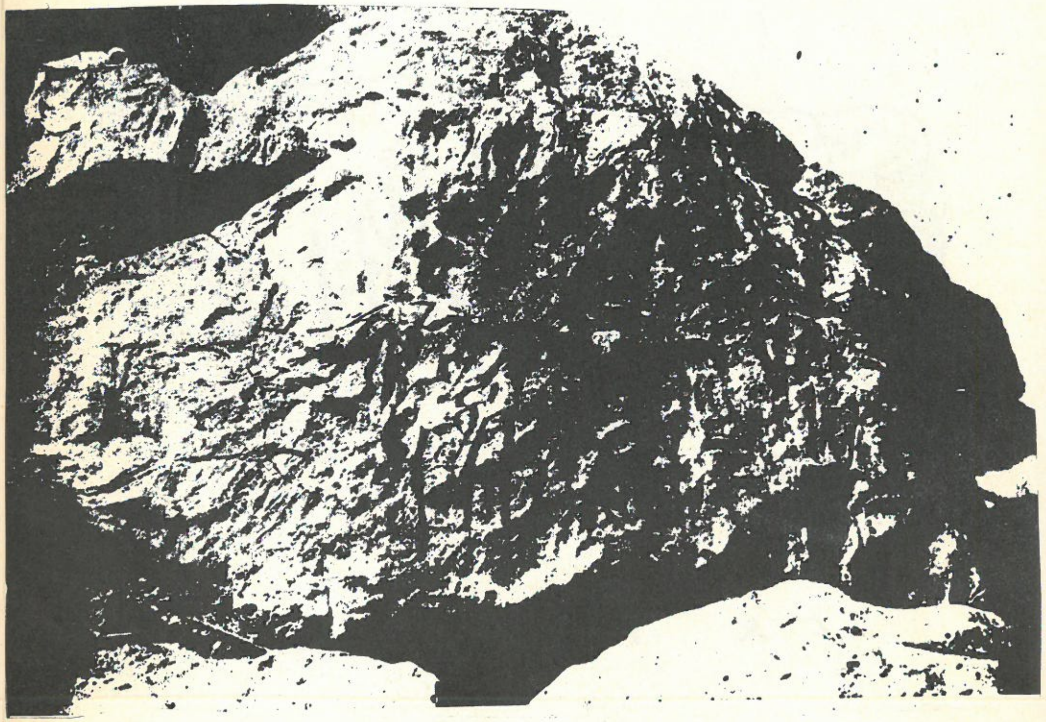

لوحة ٢٤ قطعة رابعة من صخرة ايتاكواتيارا

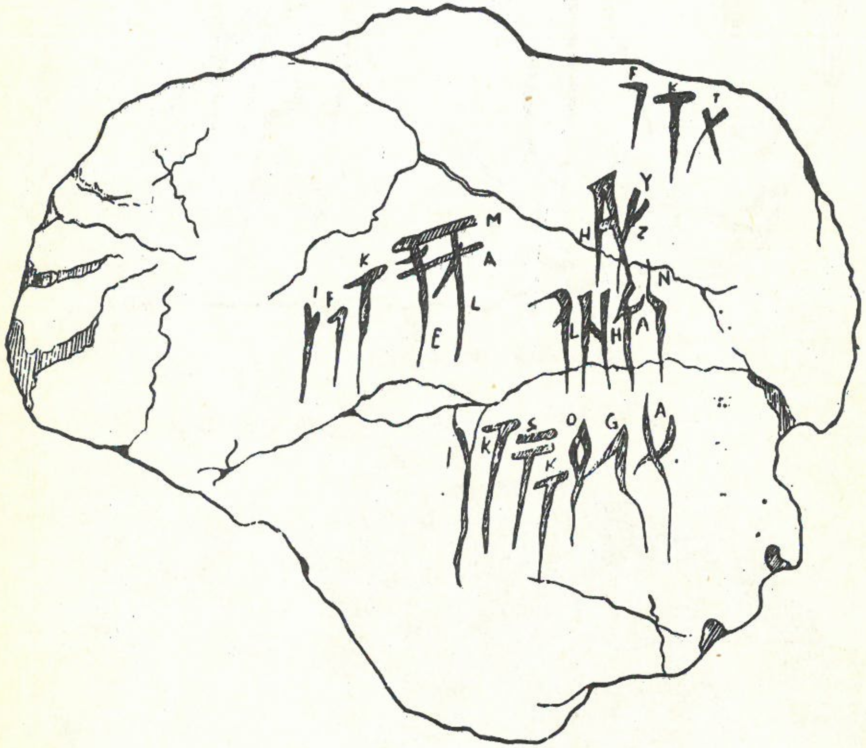

IKSK OGA LHAN IFK ELAM HZI

لوحة ٢٦ بعض الكلمات الفينيقية من كتابة ايتاكواتيارا

FK TAIL ISH

لوحة ٢٥ بعض الكلمات الفينيقية من كتابة ايتاكواتيارا

S I I G N I T

لوحة ٢٧   بعض الكلمات الفينيقية من كتابة ايتاكواتيارا

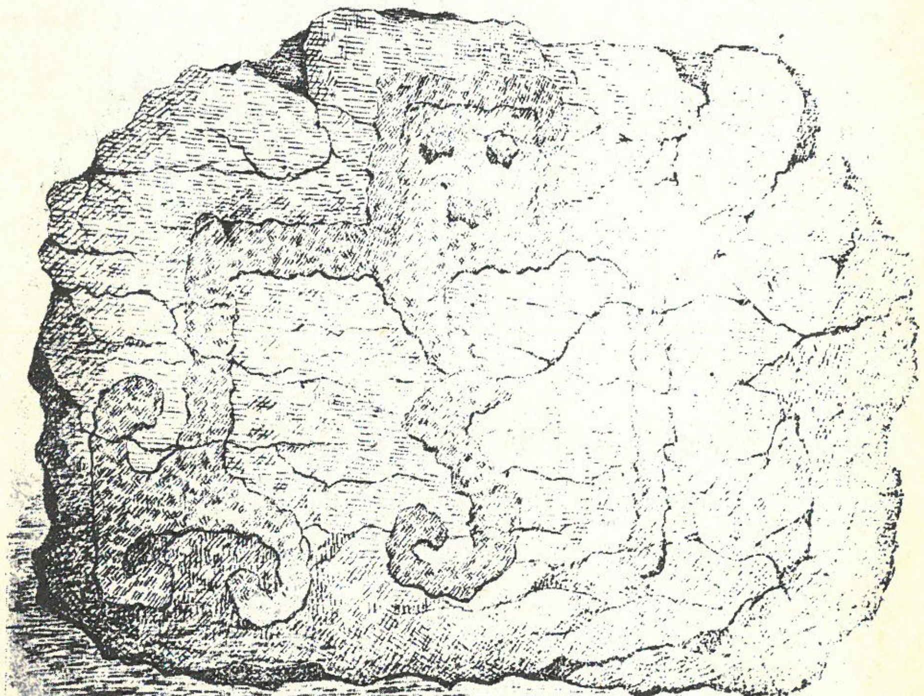

لوحة ٢٩   الاله ايغ في ريو اوروبو (ماكوارا)

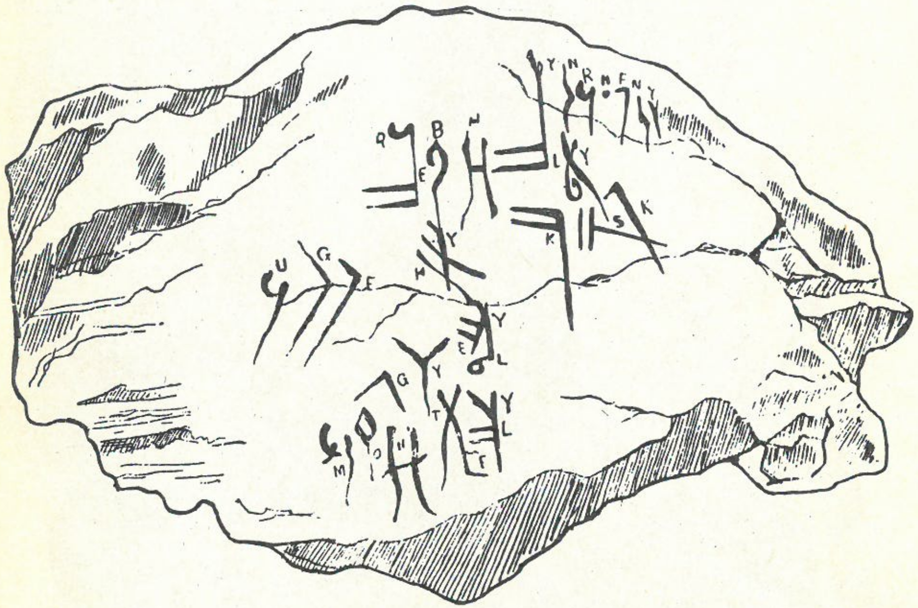

UGFH IK SK   REBH DLI INRHFNI

MOHT DLI EHGI DLI

لوحة ٢٨   بعض الكلمات الفينيقية من كتابة ايتاكواتيارا

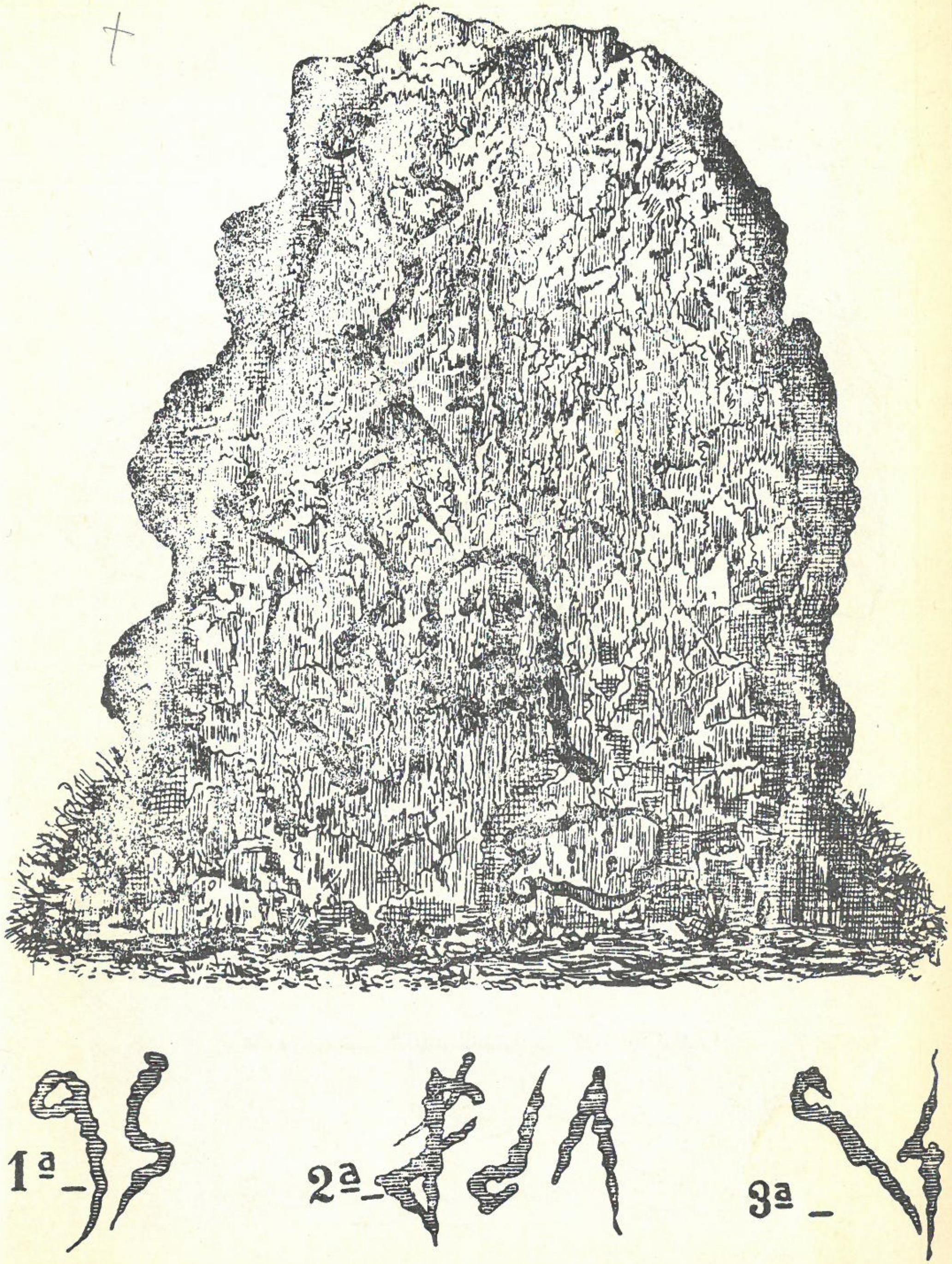

لوحة ٣١ كتابة فينيقية في أيبو

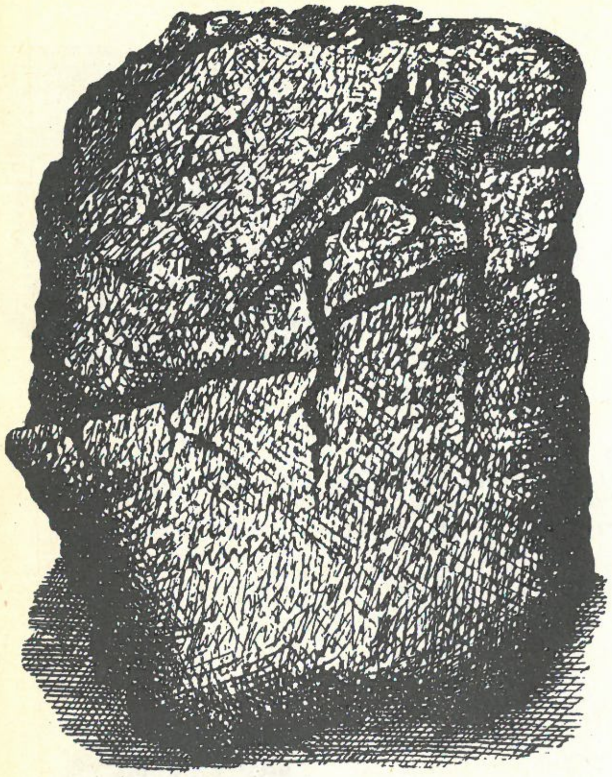

لوحة ٣٢ صخرة واتوما

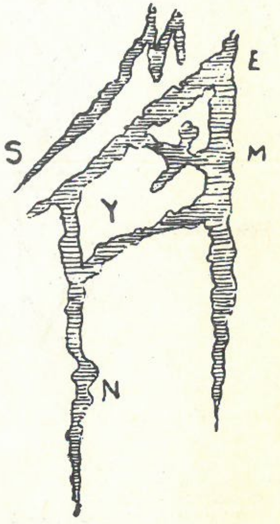

لوحة ٣٣ كتابة واتوما

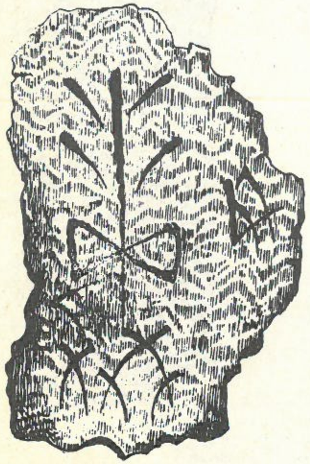

لوحة ٣٦ كتابة فينيقية
في مغارة لاجس .

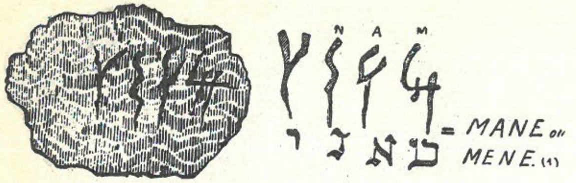

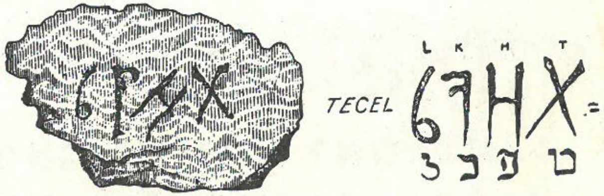

لوحة ٣٩, ٤٠,٤١ كتابات فينيقية في مناوس

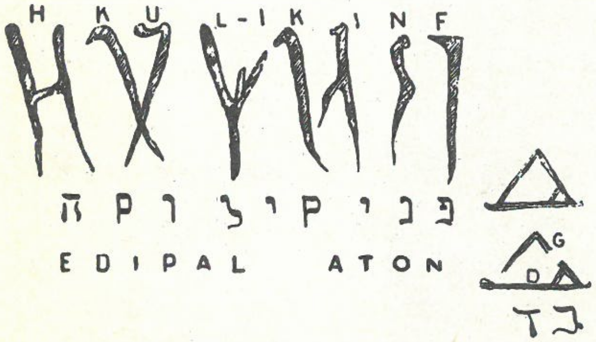

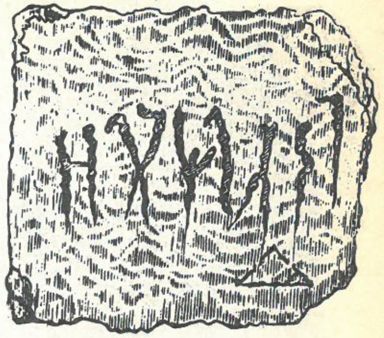

لوحة ٣٤ — ٣٥ كتابة فينيقية
في مغارة لاجس

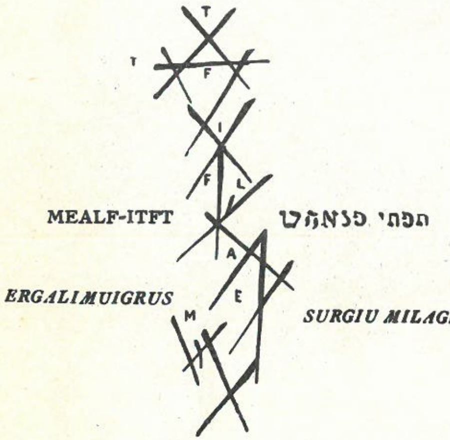

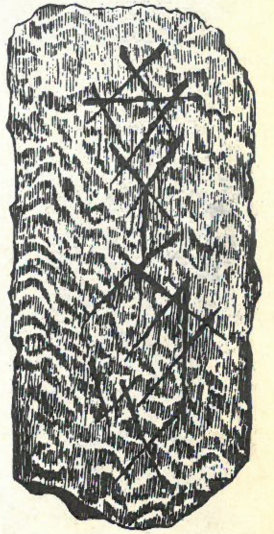

لوحة ٣٧ — ٣٨ كتابة فينيقية في مغارة لاجس

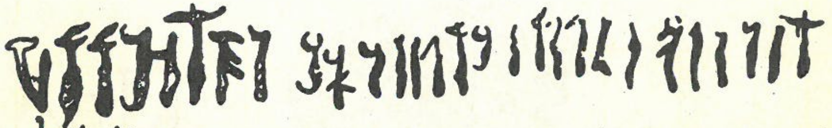

טזרר פדיכיסיאנ באדזיר רב יהטתבאאל

LAABHTEJ BARRIZDAB NAISINEOF RUZT

TYRO PHENICIA. BADEZIR PRIMOGENITO.. JETHBAAL.

لوحة ٤٣ كتابة غاڤيا